شرح
ستة مواضع من السيرة

عبد الله الغليفي

$

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين, اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعن أصحابه الطيبين الطاهرين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين, اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وارزقنا علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا، واجعله خالصًا لوجهك الكريم, اللَّهمَّ اجعل هذا في موازين حسناتنا، وانفعنا به، وانفع الخَلق.

أمَّا بعد:

فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته:

هذا هو المجلس الأخير من مجالس هذه الدورة المباركة, أسأل الله † أن ينفع بها البلاد والعباد, وهي في مسك ختام هذه الدورة شرح ستَّة مواضع من السيرة للشيخ محمد بن سليمان التميمي عليه رحمة الله.

وهذه الرسالة على وجازتها إلا أنها حَوَتْ أصول الإسلام ومبانيه العظام، وكذلك حوت نواقضه ونواقصه.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يُوفِّقنا وإيَّاكم إلى العمل الصالح، وأن يرزقنا التوفيق والسَّداد في شرحها، وبيان ما فيها من فوائد.

صابر الدرينى

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومَنْ والاه.

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين, اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فهذا شرحٌ مختصرٌ لرسالة «ستة مواضع من السيرة النبوية»، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، للشيخ محمد بن سليمان التميمي رحمه الله تعالى .

قال $: «تأمَّل - رحمك الله - ستة مواضع من السيرة، وافهمها فهمًا جيدًا حسنًا، لعلَّ الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه، ودين المشركين لتتركه؛ فإنَّ أكثر مَنْ يدَّعي الدين، ويعدُّ من الموحدين، لا يفهم معنى هذه الستَّة كما ينبغي».

الشرح

هذا الذي حدا بالمصنف $ أن يكتب هذه المواضع الستة لأهميَّتها، ولسبب آخر أنَّ كثيرًا من الناس لا يفهمونها، ولا يعملون بها، ولا يفقهون ما حوته من أصول الإسلام؛ لذلك هو يُركِّز على هذه الست.

قوله رحمه الله تعالى: «تأمل»، يعني: تدبَّر وتفكَّر فيما تقرأ حتى تستفيد وتتعلَّم, فلا يليق بك أن تقرأ ما لا تفهم، والفهم لا يكون إلَّا بفهم السلف الصالح، لا بفهمك وما يخطر ببالك.

إذًا، لا بدَّ لطالب العلم أن يقرأ ويفهم ما يقرأ، ولن يفهم ما يقرأ حتى يتدبَّر, فالتدبُّر طريقٌ للفهم, ولا تفهم بفهمك أنت، يعني: لا تفهم ما تقرأ بفهمك أنت, إذًا: لا بد من ضابطٍ لهذا الفهم، وهو أن تفهم على مراد الله ، وعلى مراد رسوله ﷺ، وعلى ما فَهِمَهُ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

إذًا، ليست المسألة مسألة فهمٍ, فالكفار يفهمون، وأهل العلمانية يفهمون، وأهل الإلحاد يفهمون، والعقلاء يفهمون, ولكن ما هو ضابط الفهم الصحيح؟

ضابط الفهم الصحيح هو ما كان عليه النبي ﷺ، وما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

إذًا، ضابط الفهم أن يستقيم على فَهْم الصحابة رضوان الله عليهم, هذا هو ضابط الفهم المقبول الصحيح, وهذا هو المسؤول عن عملك وعبادتك, أن تنطلق من فهمٍ صحيحٍ، هذا هو الأصل.

❀ ❀ ❀

وقوله: «رحمك الله»، فيه دعاءٌ بالرحمة للمتعلم المتلقِّي، ومن الرحمة أن يفهم كلام الله، وكلام رسوله ﷺ.

وقوله: «ستة مواضع»، هذه التي اختارها المؤلف - رحمه الله تعالى - من مواضع السيرة الكثيرة جدًّا، ولكن اختارها لأهميتها المباشرة بالتوحيد، وبيان حقيقة دعوة الرسل، ومفهوم لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وقوله: «السيرة»، وهي حياة النبي ﷺ، وأيامه وما حصل يوم مولده ﷺ عام الفيل، وأسفاره، وغزواته.

وهذا الَّذي أردنا من شرح هذه الرسالة: أن نُبيِّن لطلبة العلم وللناس أن

السيرة لا تقرأ كأنها حكايات وقصص, السيرة تقرأ على أنها دروس عقدية تُبيِّن أصل دين الإسلام ونواقضه وشروطه, فالسِّيرة تُقْرأ بهذا المفهوم، تُقْرأ من مواقف النبي ﷺ، وتعامله مع أهله وإخوانه وجيرانه، ومع الكفار في الحرب والسِّلم والمعاهدات والاتفاقيات، وفي النواقض وأحكام المرتد وأحكام الكافر، كل هذه تؤخذ من سيرة النبي ﷺ؛ لأنَّها هي الواقع العملي المترجم لأصول الإسلام.

من أين نأخذها؟ من رسول الإسلام ﷺ, نأخذها من المُشرِّع عليه الصلاة والسلام، إذًا: لابدَّ أن نُغيِّر نظرتنا في السيرة، وكيف نقرؤها؟ نقرؤها بهذه العقلية، أن تستخلص منها الدروس العقدية التي تتعبَّد بها رب البرية † في حياتك وواقعك وتعاملك مع الناس.

❀ ❀ ❀

فلا خلاف في ولادته ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل سنة 570 أو 571 من ميلاد المسيح عليه السلام ،يوم الإثنين، ففيه وُلِدَ ﷺ، وفيه بُعِثَ، وفيه تُوفِّي (يعني: يوم الإثنين).

كما ثبت ذلك في «صحيح مسلم»، عن أبي قتادة الأنصاريِّ قال: سُئِلَ ﷺ عن صوم يوم الإثنين وقال: «ذاك يوم وُلِدْتُ فيه، ويوم بُعِثْت» أو: «أُنزِلَ عليَّ فيه»، حتى يوم وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى - صلوات ربِّي وسلامه عليه - في شهر ربيع الأول في السنة الحادية عشرة هجريًّا.

إذًا، مولدُهُ ﷺ معلوم، وهو في عام الفيل، وكذلك معلوم اليوم، وكذلك معلوم الشهر، ولكن **تحديد اليوم الذي وُلِدَ فيه هذا الذي اختلف فيه أهل العلم، فقالوا: هو من اليوم الثامن إلى اليوم الثاني عشر، لا يخرج عنهما,** يعني: لم يقلَّ عن اليوم الثامن، ولم يزد عن اليوم الثاني عشر, فبعضهم قال: اليوم الثامن،

وبعضهم قال: اليوم التاسع، وبعضهم قال: اليوم العاشر، وبعضهم قال: اليوم الحادي عشر, وبعضهم قال: الثانــي عشر.

لماذا نُحرِّر يوم مولده ﷺ؟

لأنه لا يُعرَف على وجه القطع، لأنه كان مولودًا كما يُولَد أهل مكة، فلم يُحرِّروا يوم الميلاد بالضبط؛ لأنهم لا يدرون أنه سيكون نبيًّا وقتها، ولو عرفوا لحرَّروا ساعة ولادته ويومه وغير ذلك، وهذا من الحكمة.

لماذا؟ لأنَّ الذين يحتفلون ويحددون يومًا بعينه بأنه يوم مولده ﷺ هم أخطأوا من باب أنهم أحدثوا في دين الله † بدعةً، وهي بدعة الاحتفال بالمولد، وهذه البدعة محدثة.

لماذا؟ أنتم تقولون: نحتفل؛ لأننا نحبُّ رسول الله ﷺ، ولأننا نحب ذِكره، ونُحْيي سنَّته، وغير ذلك.

نقول لكم: وهل أنتم تحبون رسول الله ﷺ أكثر من نفسه؟ لا، فهو لم يحتفل بيوم مولده ﷺ طوال هذه السنوات الطوال، ثم هل أنتم تحبُّون النبي ﷺ أكثر من أهل بيته؟

أُمُّنا عائشة ڤ وحفصة وكل أمهات المؤمنين لم يحتفلوا بيوم ميلاده ﷺ، ولم يثبت عن أُمِّنا عائشة ڤ وقد كانت من أشد النساء حبًّا له ﷺ أنها احتفلت بيوم مولده.

ثم هل أنتم أشد حبًّا للنبي ﷺ من الصحابة رضوان الله عليهم؟

لم يثبت عن الصحابة - رضوان الله عليهم - على مرِّ التاريخ - إذا قلنا: إنَّ موت آخر صحابي كان على رأس المئة هجرية، فآخر الصحابة موتاً على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي مات سنة مائة من الهجرة قاله مسلم

في صحيحه, ورواه الحاكم في المستدرك عن خليفة بن خياط، وقيل سنة اثنين ومائة، وقيل سبع ومائة، وقيل عشر ومائة, وهو الذي صححه الذهبي, ويؤيد هذا الأخير ما رواه وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال: كنت بمكة سنة عشر ومائة فرأيت جنازة فسألت عنها فقالوا: "هذا أبو الطفيل" ويدل على أن أبا الطفيل آخرهم موتا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي الطفيل قال: "رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم، وما على وجه الأرض رجل رآه غيري", وكانت وفاته رضي الله عنه بمكة.وبنهاية القرن الأول انتهى عصر الصحابة

وآخر التابعين موتاً خلف بن خليفة المُتَوَفَّى سَنَةَ ١٨١ هـ (إحدى وثمانين ومائة) آخر التابعين موتًا، لأنه لقي في مكة آخر الصحابة موتًا أبا الطفيل عامر بن واثلة. ومن هنا قيل: إن عصر التابعين انقضى سنة ١٨١ هـ.

وأخر تابعي التابعين موتاً الحسن بن عرفة العبدي البغدادي، توفي في سامراء سنة 257 هجرية، عن مائة وعشر سنين، وهو آخر من روى عن آخر التابعين خلف بن خليفة وعلى ذلك يكون انقضاء القرون الثلاثة المفضلة بعد منتصف القرن الثالث بسبع سنة 257 هجرية ,والله أعلم.

فخلال المئة عام لم يحتفل الصحابة - رضوان الله عليهم - بمولد النبي ﷺ، وجيل التابعين وجيل تابعي الاتابعين هذه ثلاثة أجيال لم يثبت أنهم احتفلوا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ولم تحدث هذه البدعة المنكرة الا بعد انقضاء القرون الثلاثة فلم يكُن أحدٌ فيه يَحتفِلُ بمولدِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، لا صحابتُه الأبرار، ولا مَن جاء بَعدَهم مِن العُلماءِ والأئمَّةِ المتبوعِين الأخيار، لا مِن أئمَّة الفِقهِ كأبي حَنيفةَ ومالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ، ولا مِن المُحدِّثين كالبُخاريِّ ومُسلِمٍ وغيرِهما، وإنَّما أُحدِثَ هذا الاحتِفالُ البِدعيُّ في أواخِر القرنِ الرابعِ الهِجريِّ، وأوَّلُ مَن أحْدَثه وابتدَعه هم الرافضةُ العُبَيديُّون (الذين يُسمَّوْن زُورًا

وتَلبيسًا بالفاطميّين)؛ ابْتَدعوه مع ما ابْتَدعوه في يَومِ عاشوراءَ- من ضَرْبِ الصُّدورِ، ولطْمِ الخُدودِ، وشَجِّ الرُّؤوسِ وغيرِ ذلك من البِدَعِ؛ إظهارًا للحُزنِ على مَقتْلِ الحُسَينِ بنِ عليٍّ رضِيَ اللهُ عنهما- في عامٍ واحدٍ، وهذه حَقيقةٌ تاريخيَّةٌ لا يُنكِرُها إلا جاهلٌ بالتاريخِ؛ فقدَ سَطَّرها المَقريزيُّ المتوفى عام 845هـ في كِتابه ((الخِطط)) (436/2)، وذكَر أنَّهم أحْدَثوا عددًا من الموالدِ والاحتفالاتِ البِدعيَّة؛ منها: مولِدُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ومولِدُ عليٍّ وفاطمةَ والحَسنِ والحُسَينِ، وغيرُها من الموالدِ، حتى عدَّد سَبعةً وعِشرين احتفالًا لهم، كلُّها انقرضتْ بسُقُوط الدولةِ العُبيديَّة عام 567هـ على يدِ صلاح الدِّين الأَيوبيِّ رحِمَه الله.

ثُمَّ أحيا الصوفيةُ مِن بعدِ ذلِك بِدعةَ الاحتِفالِ بيومِ مولدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم، وأحيا الرافضةُ بِدعَ يومِ عاشُوراءَ من جَديدٍ، وما زالتْ هذِه البِدعُ مُستمِرَّةً إلى يومِ الناسِ هذا.

ولَمَّا ثقُل على المُغرَمِينَ بالاحتِفالِ بالمولدِ أنْ يكونَ أوَّلَ مَن أحْدَثه رافضيٌّ خبيثٌ، زَعَموا أنَّ أوَّلَ مَن أحْدَثه صاحِبُ إربل المَلِكُ المظفَّرُ أبو سعيد كوكبرى المتوفى عام 630هـ، ونَسَبوا ذلك لابن كَثيرٍ (774هـ) في كتابِه ((البداية والنهاية)) (136/13- 137)، وهذا غيرُ صحيح؛ فنصُّ كلامِ ابنِ كَثيرٍ هو: (وكان يَعمَلُ المولِدَ الشريفَ في ربيعِ الأوَّل، ويحتفِلُ به احتفالًا هائلًا)؛ فابنُ كَثيرٍ لم يقُلْ: إنَّه أوَّلُ مَن أحْدَثه، وإنَّما قال: إنَّه كان يَحتفِلُ به في رَبيع الأوَّل.

والحقيقةُ التاريخيَّةُ الثانيةُ التي لا تَقبَلُ الشكَّ أيضًا: أنه لم يَثبُتْ أنَّ الثاني عَشرَ من ربيعِ الأوَّل هو يومُ وِلادةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ، بل الأرجحُ والأصحُّ: أنَّه ليس يومَ مَولدِه، والثابتُ الذي عليه أكثرُ المؤرِّخين أنَّه يومُ وفاتِه

عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وكان ذلك يومَ الاثنين، ودُفِنَ يومَ الثلاثاء، فِداه أبي وأُمِّي ونفْسي.

ثم انتَشرَ هذا الاحتفالُ في بِقاعِ الأرضِ واستحسنَه بعضُ العُلماءِ والوُعَّاظ؛ لِمَا فيه من ذِكرٍ لسِيرةِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم، ولبَّس الشيطانُ على بعضِهم وأنساهُم مُبتدأَه وخُلوَّ القرونِ الأولى منه؛ فبَدؤوا يَستدلُّون على جوازِه، بل على مَشروعيَّتِه واستحسانِه بأدلَّةٍ مُشرِّقةٍ ومغرِّبةٍ لا عَلاقةَ لها البتَّةَ بهذا الاحتِفال! فانبرَى لهم العُلماءُ ليردُّوا عليهم استِدلالاتِهم، بَلْهَ شُبُهاتِهم.

وكما هي عادةُ البِدعِ، لا تقِفُ عند حدٍّ؛ فقد دخلتْ على هذه الموالدِ بِدعٌ مُنكَرةٌ وأعمالٌ قبيحةٌ أخرى كالطَّبلِ والتمايُلِ والرَّقص، واختلاطِ الرِّجالِ بالنِّساءِ في بعض البلدان، وغيرِها من المعَاصي، وإلْقاءِ القَصائدِ الشِّركيَّةِ التي فيها استِغاثةٌ بغيرِ اللهِ تعالى، وإطراءٌ للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم كإطراءِ النَّصارَى لعيسى ابنِ مَريمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

إذًا: أنتم أحدثتم بدعةً في دين الله، وألبستموها لباس السنة، فهذا لا يجوز، إنْ كنتم تحبون النبي ﷺ، فمناطُ المحبة الاتباع ﴿ڤ ڤ ڤ ڤ چ چ چ چ﴾.

إذًا، هذه أصل المحبة، ثم ثالثًا: هل إحياء سُنَّة النبي ﷺ يكون بمثل هذه الاحتفالات البدعية؟ هل بمثل هذه المنكرات من اختلاط النساء بالرجال والغناء والموسيقى وغير ذلك؟ لم يكن إحياء سُنَّة النبي ﷺ باتِّباعه فيما أمر، وبالزجر والنهي عمَّا نهى وزجر، هذه هي السُّنة، وهذا هو تعظيم النبي ﷺ، وهو اتباع سُنَّته ﷺ؛ لذلك تحديد يوم المولد تمامًا ليس على جهة القطع، ولكن على جهة الظن؛ لذلك كان هذا هو ما قرره أهل السنة والجماعة في هذا اليوم.

❀ ❀ ❀

وكثيرًا من الناس ومن طلبة العلم يظنُّ أن السِّيرة النبوية حكايات وقصص للتسلية، وهذا غير صحيحٍ، وغير المراد من قراءة السِّيرة النبوية لسيرة النبيِّ ﷺ، بل في السيرة وحياة النبي ﷺ الدروس والعبر من المواقف العقديَّة، ومن بيان أصول الدين والتوحيد والرسالة، ومن السِّيرة النبويَّة نتعلَّم المنهج العملي لتطبيق الإسلام الصحيح، كما عَمِلَ به رسول الله ﷺ مع أصحابه، وفي هذه الست دليلٌ على ذلك، وكثيرٌ مِمَّن يدعي الفهم وأنه على التوحيد لا يفهمها فهمًا صحيحًا، بل قليلٌ جدًّا من يتفطن إليها، وإلى ما دلت عليه.

قوله: «كما ينبغي»، يعني: كما أرادها رسول ﷺ على فهمه الصحيح، لا فهمك أنت، ولا فهم المبتعدة عن السيرة من التبرك بالنبي، ودعاء الأموات.

وقد مرَّ معنا أن دعاء الأموات والطلب منهم شركٌ أكبر؛ سواء كان دعاءً مباشرًا، أو دعاءً بواسطة، وهذا كان شرك كفار قريش الذي من أجله كفَّرهم الله †، وقَاتَلهم النبي ﷺ.

❀ ❀ ❀

والفهم الحسن هو الفهم الموافق للكتاب والسنة، وهو الفهم الصحيح الذي كان عليه الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - من فَهْم نصوص الوحيين للقرآن والسُّنة، والفهم الصحيح هو مدخلٌ ومقدمةٌ لفهم الدين، وتحقيق التوحيد، وترك الشرك، وفيه الطلب من الله، إنَّ الفهم الصحيح نعمة من الله ومَن أُغْلقَت عليه المسائل، فعليه التضرُّع إلى الله تعالى، يدعوه ويرجوه: «يا

مفهم سليمان فهمني، ويا معلم إبراهيم علمني»، وثبت في «الصحيحين» من حديث معاوية بن أبي سفيان - ڤ، وعن الصحابة أجمعين - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن يُرِدِ الله به خيرًا، يُفقِّهه في الدين»، بمعنى أن مَنْ لم يُرِد الله به خيرًا، لا يفقهه في الدين.

وهذا رزقٌ من الله †، أن يُلْهمك الله الفهم الصحيح، والفقه في الدين، فهذه نعمة تستوجب الشكر، وكون الله † يوفقك إلى مجالس العلم والتعلم، فهذه نعمةٌ تستوجب الشكر، فكثيرٌ من أقرانك يلهون ويلعبون!!

إذًا، ما الَّذي جعلك تحرص على هذا العلم والطلب ومجالسه والسهر في طلب العلم؟ هذا هو توفيق الله †.

قوله: «دين الأنبياء»: هو التوحيد والإسلام، وهو إفراد الله † بالعبادة والخلق والأمر والحكم والملك والتشريع، هذا هو دين الأنبياء ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ﴾ [النحل:36]، وقال: ﴿ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ﴾ [آل عمران:19].

فالإسلام العام هو دين الأنبياء جميعًا، فهذا هو الدين الَّذي ارتضاه الله † لخلقه، وأرسل به الرسل، وهو الإسلام, والتوحيد, والاستسلام لله †, وإفراد الله † بالعبادة, هذا هو الإسلام العام، دين الرسل جميعًا ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ﴾، أي: وحِّدوا الله، والإسلامُ الذي جاء به محمد ﷺ كذلك هو التوحيد والإسلام، ولكنه قاطعٌ لما قبله؛ لذلك صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: **«نحن معاشر الأنبياء إخوةٌ لعلَّات، أمهاتهم شتَّى، ودينهم واحد»**، فأصل الإسلام, والدين, والتوحيد, والإيمان واحد، كلُّهم متفقون على هذا الإسلام.

❀ ❀ ❀

والأنبياءُ والرُّسلُ هم بَشرٌ، اصطفاهم الله وتعالى لتبليغ رسالته وتوحيده للناس، ودليل الاصطفاء والاختيار.

يقول تعالى: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾ [الدخان:32].

ويقول الله ۵: ﴿ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ﭼ [آل عمران:33].

ويقول سبحانه: ﴿ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ﴾ [النور:54].

ويقول تعالى: ﴿ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ﴾ [المائدة:67].

وقال تعالى مُبيِّنًا مهمة الرسل: ﴿ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ﴾ [الأحزاب:45، 46].

هذه هي الأدلَّة من القرآن الكريم على أنَّ الرسل والأنبياء اصطفاهم الله †، واختارهم لتبليغ الرسالة والنُّصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هذه هي مهمة الرسل جميعًا.

❀ ❀ ❀

وأول الأنبياء آدم عليه السلام ، والدليل على ذلك كما ثبت في «مسند الإمام أحمد» وفي «صحيح ابن حبان» و«تفسير ابن كثير» من حديث أبي ذرٍّ ﭬ قلت: يا رسول الله، أيُّ الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: ونبيٌّ كان؟ قال: «نعم, نبيٌّ مُكلَّم».

إذًا، أول الأنبياء آدم ﻏ؛ لأنَّ هذا من باب التفريق بين النبي والرسول، وبعضُهُم لا يُفرِّق بين النبي والرسول، ولكن الصحيح أنَّ آدم ﻏ نبي، فهو ﻏ ليس رسولًا أُرْسل إلى قومٍ كانوا كفارًا وآمنوا، بل كان أوَّل البشر، وأبا البشر؛ لذلك هو نبيٌّ، أمَّا أول الرسل الذين أرسلهم الله † إلى الأرض برسالةٍ إلى قومهم يُعبِّدونهم ويدعونهم إلى التوحيد الذي كانوا عليه ألف سنة كما صحَّ من حديث ابن عباس في الصحيح قال: «كان بين آدم ونوح ألف سنةٍ على

التوحيد»، وهذا فيه ردٌّ على أهل التوقُّف والتبيُّن، أو أهل الغلو الَّذين يقولون: إنَّ الأصل في الناس الكفر.

فهذا كان جيلًا كاملًا على التوحيد؛ لذلك عندما تغيَّروا وكفروا، أرسل الله † إليهم نوحًا, فأول الرسل نوح ﻏ، وأول الأنبياء آدم ﻏ، نقول ذلك لأن كثيرًا ممَّن لم يتقيَّد بنصوص الوحيين يشتطُّ عقله ويشذُّ على أهل السنة والجماعة ويقول: إنَّ آدم ﻏ ليس أبا البشر، ويقول: إنه ليس بنبيٍّ، ولكنه رسول؛ لأن كان هناك كفار قبله، وأرسله الله † إلى هؤلاء الكفار، هكذا العقول عندما لا تتقيَّد بالوحيين (القرآن والسنة) تضلُّ وتنحرف، فهذا ضلالٌ وانحرافٌ، ولكن النبي ﷺ يقطع بذلك كما ثبت عنه ﷺ في الصحيح أن آدم نبيٌّ، وهو أول الخلق، أمَّا الرسول فهو نوحٌ ﻏ، ودليل ذلك ما ثبت في حديث الشفاعة الطويل.

۞ ۞ ۞

وأولُ رَسُولٍ أرْسَلَه الله ۵ إلى الناس نوحٌ ﻏ، ودليل ذلك كما ثبت في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالكٍ ﭬ في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «ائتوا نوحًا، فإنَّه أوَّل رسولٍ بَعَثه الله إلى أهل الأرض»، وهذا ثابتٌ في «الصحيحين»، أن نوحًا ﻏ أول الرُّسل.

«لتتبعه»، يعني: دين الأنبياء، أي: تفهم وتتَّبع دين الأنبياء؛ لأنَّه هو المقصود من الفهم، فالفَهْمُ هو العمل والاتِّباع، ومَن فهم ولم يعمل، فهو شرٌّ من المنافقين ومن علماء اليهود الذين يعلمون الحقَّ ولا يعملون به.

والاتباع ضدُّ الابتداع، ومعناه تَصْديقُ خبَر النبيِّ ﷺ جملةً وعلى الغيب، والانقياد له، والإذعان بالطاعة والقبول، ومحبَّة ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ودينُ المشركين هو كلُّ دينٍ يخالف الإسلام.

وكما قلنا: إنَّ الجاهلية هي كلُّ ما يخالف الإسلام، كذلك دين المشركين هو

كل دينٍ يخالف دين الإسلام، وتصديق خبر النبي ﷺ جملةً وعلى الغيب هذا هو الإيمان المجمل، أن تصدِّق كلَّ ما جاء عن النبي ﷺ؛ سواء علمت التفاصيل أم لم تعلم، تقول: أهذا جاء به النبي ﷺ؟ نعم، آمنَّا وسلَّمنا حتى وإنْ لم تعرف التفاصيل، فهذا الإيمان المجمل دليلٌ على الإذعان والانقياد لأمر الله †.

❀ ❀ ❀

(المشرك) هو الذي أشرك مع الله غيره، وهو قد خرج عن الاتباع لدين الحق، والكافر أو المشرك هو الذي أشرك بالاعتقاد والقول والعمل، ويسمَّى مشركًا وكافرًا.

وهذا مرَّ معنا، وهو أن الأسماء تتنزَّل على أوصافٍ، فمَن وقع في الشرك أو الكفر يسمى كافرًا ومشركًا، وهذا اسمه في نصوص الوحيين (القرآن والسَّنة)؛ لأنَّ ليس له اسمٌ غير هذا، وهذا وصفٌ له، وليس عقوبةً وحدًّا، فالعقوبة والحدُّ لها مجالاتٌ أخرى عند ثبوت التُّهمة عند التقاضي، أمَّا هذا فوصفٌ، ومسلمٌ قال: لا إله إلا الله، وسبَّ الله، وسبَّ دين الله، وانتقد الإسلام، واستهزأ بالنبيِّ ﷺ، وسبَّ النبي ﷺ فليس بمسلم، ولا يكون أبدًا وَصْف الإسلام ثابتًا له وهو يسبُّ اللهَ ورسولَ الله ﷺ، فكيف يثبت له عقد الإسلام مع النواقض المكفرة؛ كالذي توضأ، ثم دخل في الصلاة، ثم أخرج ريحًا أو غائطًا، فهل يظلُّ على وضوئه وهو في الصلاة أم تنتقض الصلاة والوضوء؟

إذًا، الذي قال: (لا إله إلا الله)، ودخل في الإسلام، واستمرَّ على هذا، فإذا جاء بناقضٍ ينقض هذا الإسلام؛ سواء كان هذا الناقض اعتقاديًّا كما سيأتي معنا في التفصيل، أو قولًا باللسان، أو عملًا بالجوارح، نقض هذا القول (لا إله إلا الله)، ونقض الإسلام؛ لأنه وقع في النواقض المكفرة، فهل يبقى معه الإسلام؟

وهل يثبت على الإسلام مع وقوعه في النواقض المكفرة؟ لا، كالذي تنتقض صلاته بنواقض الوضوء إذا كان للوضوء نواقض، فما بالك بالإسلام الذي هو أصل الأمر، فهذا لابد من فهمه على الفهم الصحيح، والفهمُ الصحيحُ هو ما دلت عليه نصوص الوحيين (القرآن والسنة)، وهو فَهْم الصحابة - رضوان الله عليهم - لنصوص الوحيين، لا بفهم الخوارج أهل الغلو في التكفير، ولا بفهم أهل الإرجاء الذين ميَّعوا وأماتوا هذا الدين.

❀ ❀ ❀

(ودين المشركين لتتركه)؛ لأن تَرْك الشرك هو المقصود من العلم، فالعلم يُنجِّي - بفضل الله تعالى - من الكفر، وفِيهِ التحذيرُ من عدم العمل بالعلم، فالمسلم يتعلَّم ليعمل بعلمه، وليس يعمل فحسب، بل يعمل مخلصًا لله تعالى على وَفْق سُنَّة رسول الله ﷺ، لا رياءً، ولا سمعةً حتى لا يُعرِّض نفسه لعذاب النار كما ثبت في «صحيح مسلم»، عن أبي هريرة ڤ: «إنَّ أوَّل الناس يُقضَى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأوتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلمه، وقرأ القرأن، فأوتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلها، فأوتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ أحب أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه،

ثم ألقي في النار»، فلابد أن يكون العمل خالصًا لوجهه الكريم.

يعني: لا يكفي أن تعمل، ولكن لابد أن تعمل وَفْق شرع الله †، ولابد أن تعمل عملًا يقبله الله †، والعملُ المقبولُ عند الله † هو الَّذي أخلص العبدُ فيه لله †، والإخلاص لوجه الله †، لا رياء، ولا سمعة, ثم المتابعة لرسول الله صلى عليه وسلم، فالعمل فيه الإخلاص، والنيَّة الصالحة، والمتابعة للنَّبيِّ ﷺ, وهذه هي شروط العمل المقبول عند الله †.

قوله: (**يدَّعي الدِّين**)، فالدين ليس بالادِّعاء، فالدعاوى العريضة تحتاج إلى دلائل وبراهين عليها، فالدين عمل، والدين منهج حياة يعيش المسلم به، وليس ادعاءً لا حقيقة له في الواقع العملي وواقع حياة الناس, فلابد للمسلم الصحيح أن يعيش بالدين، وأن يعيش على الدين، وأن يعيش للدين، ولسانُ حالِهِ ومقالِهِ ﴿ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ﴾ [الأنعام:162، 163].

وقوله: (**ويعدُّ من الموحدين**)، المُوحِّد هو الذي رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا.

(**واعتقادًا وقولًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا**), باطنًا بأركان الإيمان الستة (الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره)، ومَن اعتقادها بالقلب قولًا وعملًا: وقول القلب وصدقه وإذعانه، وعمل القلب: الإخلاص، والمحبَّة، والخشية، كلُّ هذه أعمال القلوب الباطنة والظاهرة، ويعني بالعمل بأركان الإسلام الخمسة: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت مَن استطاع إليه سبيلًا)، هذه هي أركان الإسلام الخمسة يأتي بها قولًا وعملًا بالجوارح والأركان.

فهذه هي مقدمة رسالة «ستة مواضع من السيرة»، وهذا هو الشرح المختصر لها، وليس شرحًا مفصلًا، ولكن الهدف منه هو الوقوف على حقيقة هذا الدين، وأصل الإسلام وما خَلَقنا الله له من خلال السِّيرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وهذا يدلُّ على أهمية السيرة النبوية، وأهمية دراستها وفهمها، والوقوف على حياة النبي ﷺ، وعلى أيامه، وعلى مواقفه مع الناس، وطريقة معاملته مع الكفار، والأعداء والمنافقين والمرتدين، هذا هو الَّذي يجب على طالب العلم، وهو أن يقرأ السِّيرة بهذه الخلفية العملية العلمية, ويقرأ السيرة ليس من باب القصص والحكايات، ولكن من باب دراسة التوحيد وفَهمه من خلال مواقف النبي ﷺ مع مَن حوله، وهذا هو الذي يجب على المسلم.

أسأل الله † أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يرزقنا حُسْن الفهم عن الله ورسوله، ونسأل الله أن يرزقنا حسن الفهم، وحسن القصد، وحسن الخاتمة، هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁

عبد الله الغليفي

الموضع الأول

«قصة نزول الوحي، وفيها: أنَّ أوَّل آية أرسله الله بها: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ﴾ [سورة المدثر آية: ١، ٢] إلى قوله: ﴿ﯗ ﯘ ﯙ﴾ [سورة المدثر آية: ٧].

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة، يعرفون أنها من الظلم والعدوان؛ مثل: الزنا وغيره، وعرفت أيضًا أنهم يفعلون أشياء كثيرة من العبادات يتقرَّبون بها إلى الله؛ مثل: الحج والعمرة، والصدقة على المساكين، والإحسان إليهم، وغير ذلك، وأجلُّها عندهم: الشرك، فهو أجلُّ ما يتقربون به إلى الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾ [سورة الزمر آية: ٣]، ﴿ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ﴾ [سورة يونس آية: ١٨]، وقال: ﴿ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯻ ﯼ﴾ [سورة الأعراف آية: ٣٠].

فأول ما أمَرَه به: الإنذار عنه قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما.

وعرفت أنَّ منهم من تعلَّق على الأصنام، ومنهم من تعلَّق على الملائكة، وعلى الأولياء من بني آدم، ويقولون: ما نريد منهم إلا شفاعتهم، ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آيةٍ أرسله الله بها.

فإن أحكمت هذه المسألة، فيا بُشْراك! خصوصًا إذا عرفت أنَّ ما بعدها أعظم من صلاة الخمس، ولم تُفرَض إلا في ليلة الإسراء، سنة عشرٍ بعد حصار الشِّعب وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين.

فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة، والعداوة البالغة، كلُّ ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة، رجوت أن تعرف المسألة».

إذًا، عندنا نبوءة، وعندنا رسالة، فأول ما نزل من القرآن إطلاقًا هو ﴿چ چ چ چ ڇ ڇ﴾ [العلق:1]، وهذه نُبِّئَ بها ﷺ، أمَّا ما أرسل به فهو ﴿ھ ھ ے ے ۓ ۓ﴾، وهذه هي الرسالة، فعندنا نبوءةٌ، وعندنا رسالةٌ، فهو ﷺ قد نُبِّئَ بـ (اقرأ)، وأُرْسلَ بـ (المدثر)، فلا تعارضَ بينهما.

يعني: أجلُّ هذه العبادات التي يقومون بها، ويتقرَّبون بها إلى الله الشرك، فهم يتقرَّبون بهذه العبادات ويظنون أنها أعظم قرباتٍ لهم عند الله † أنَّهم يطلبون من الموتى، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويدعونهم، فهذه أجلُّ العبادات عندهم في نظرهم، ومع ذلك لم يعتبر النبي ﷺ بكلِّ هذه العبادات، فلم يَعْتبر بصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجهم وطوافهم؛ لأنهم كفارٌ أشركوا بالله † مع أنهم عند أنفسهم يتقرَّبون إلى الله بهذه الطاعات والقربات!!

فهو أجلُّ ما يتقرَّبون به إلى الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ک ک گ گ گ گ ڳ﴾، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقالوا: إنَّهم اتَّخذوا الشياطين أولياء من دون الله، ويحسبون أنَّهم مهتدون، فأول ما أمره به الإنذار عنه قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما.

والسؤال: لماذا لم يبدأهم النبي ﷺ بـ: كفُّوا عن الزنا، واتركوا السرقة، واتركوا شرب الخمر؟ لماذا لم يأمرهم النبي ﷺ بهذا أولًا؟ لأنَّ هذه لو انتهوا عنها مع ما هم عليه من الشرك، فليس هناك فائدةٌ في الانتفاع بها، فالأصل أنه لا بد أن تبدأ بـ (فاعلم أنه لا إله إلا الله)، هذا أولًا، فتُحقِّق هذا الأصل أولًا، ولا ينفعك أبدًا أن تصلي وتصوم وتحج وتقوم الليل وأنت مشركٌ كافرٌ تدعو مع الله آلهةً أخرى، وتصرف العبادة لغير الله †.

(فهمتها) على أصولها، وتحققتَ منها، وأحكمتَ ما تفرع منها، لا يكون

عندك فيه لبسٌ في مثل هذه المسائل، فإذا أحكمتَ هذه المسائل فيا بشراك، أبشر بكل خير، أبشر بعفو الله ومغفرته حتى وإنْ كان عندك معاصٍ وذنوب، حتى وإن متَّ على الكبائر، فأبشر بتوحيدك لله †، يا بُشْراك بهذا الفهم؛ لذلك الفهمُ الصحيح نعمةٌ يفرح بها العبد، فالحمد لله الذي مَنَّ علينا بالفهم الصحيح، وإلا كنتَ مع هؤلاء عُبَّاد الأوثان، وعُبَّاد القبور، وعُبَّاد الأضرحة والقصور، الحمد لله الذي نجَّانا من القوم الكافرين، والقوم الظالمين، أحمد الله †.

قصَّة نزول الوحي، وفيها معنى الوحي، والوحي: هو جبريل ۼ الذي أرسله الله تعالى بكلامه إلى سيِّدنا محمد ﷺ، فالقرآن وحيٌ من الله، تكلَّم الله به، وحفظه الله في اللوح المحفوظ.

وهذا مرَّ معنا في شرح كُتُب السنة، وهو أن القرآن كلام الله، وهو وحيٌ منزلٌ على سيدنا جبريل، ونزل به على سيدنا محمد ﷺ، فالوحيُ إمَّا وحي رسالةٍ، وإمَّا وحي إلهامٍ، ولا بد أن نُفرِّق بين وحي الرسالة ووحي الإلهام حتَّى لا نخلط بينهما, فوحي الرسالة أن الله † أرسل رُسُله وكُتُبه على سيِّدنا جبريل ۼ لينزل على الأنبياء، أمَّا وحي الإلهام فهذا وحيٌ يلقيه في نفوس البشر، وكذلك الخَلق كما قال الله †: ﴿ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ﴾ [النحل:68]، فهذا وحي إلهام، وليس وحي رسالة، كذلك: ﴿ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ﴾ [القصص:7]، فهذا وحي إلهام، وليس وحي رسالة؛ لأنَّه سيأتي معنا أن الرسل والأنبياء لا يكون منهم نساء، بل هم رجال على الدوام.

والوحي إمَّا وحي رسالة، وإما وحي إلهام، والمقصود هنا وحي الرسالة المحمدية، نزول جبريل ۼ بالقرآن على سيدنا محمد ﷺ، وهذا الوحي (وحي الرسالة) خاص بالرجال دون النساء، فهو خاص للرجال فقط، كما قال الله تعالى في سورة (النحل): ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ﴾ [النحل:43]، وقال في سورة يوسف: ﴿ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ﴾ [يوسف:109].

أمَّا وحي الإلهام، فهو إلهامٌ يُلْقيه الله تبارك وتعالى، ويقذفه في نفس المخلوق؛ كإلهام الله ٥ للنحل، وكإلهام الله ٥ لأُمِّ موسى ﴿ڈ ڈ ژ ژ﴾، ﴿ٹ ٹ ٹ ٿ﴾ [القصص:7]، وهذا فيه دلالة على أن محمدًا ﷺ رسول مجتبى، ونبي مصطفى، اختاره الله تبارك وتعالى لحَمْل رسالته، كما اختار وأوحى إلى الأنبياء من قبله، وكلُّهم رجالٌ كما تقدَّم، ودليل أنَّه مجتبى ومصطفى ما ثبت في «صحيح مسلم»: قوله ﷺ: «إنَّ اللهَ اصطفى إسماعيلَ، واصطفى مِن بني إسماعيلَ كِنانةَ، واصطفى من كِنانةَ قُرَيشًا، واصطفى مِن قُرَيشٍ بني هاشمٍ، واصطفاني من بَني هاشِمٍ».

والوحي له قصَّة ذكرها النبي ﷺ، كما في «الصحيحين» وغيرهما من كتب السُّنة أثناء تعبُّد رسول الله ﷺ في غار حراء، فنزل عليه جبريل ๔ وقال له: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئٍ»، يعني: أنا لا أعرف القراءة أو الكتابة، فكرَّرها عليه ثلاثًا، ورسول الله ﷺ يقول: «ما أنا بقارئ»، لا أعرف، وليس معناها أنه: (لم أقرأ، ولن أقرأ) من باب المعاندة والرفض كما يظنُّه البعض، فهو أُميٌّ ﷺ، لا يعرف القراءة أو الكتابة ﷺ، وقد علم العالَم والأُمَّة بأَسْرها، علَّمهم ورفعهم، ونفع الله به، فالعبرة ليست بالشهادات، ولا بالإجازات العلمية، ولكن بالعلم الَّذي ينفع الناس في دينهم أو دنياهم، فالعالِم يدل عليه علمه وعمله وهديه.

فقال له جبريل ๔: ﴿چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ﴾ [العلق:1-5]، فقرأ رسول الله ﷺ وراء جبريل ๔، وحفظ القرآن عن ظهر قلب بالتلقِّي من جبريل ๔ عن الرب العزة †.

هذه أول آياتٍ من القرآن نزلت على سيدنا محمد ﷺ، وهذه الآيات التي بُعِثَ بها ﷺ، أول ما نزل من القرآن (اقرأ).

أمَّا بعد ذلك (يا أيها المدثر)، فهذا البلاغ، وهذه الرسالة الَّتي أرسله الله بها،

فلا تعارض بين أول ما نُبِّئ به، وأول ما أرسل به من النذارة، ولا تعارض.

ثمَّ ذهب إلى زوجته الصالحة الصابرة الودود الولود أُمنا خديجة ڤ وأرضاها، وكانت مثال الزوجة الصَّالحة التي هي خيرُ مُعِينٍ لزوجها على الابتلاءات والمحن والمصائب والمصاعب والشدائد، وهكذا فلتكن المرأة المسلمة، ثم ما حدث منها بعد ذلك في قصَّة معلومة فيها الدروس، والعِبر، والفوائد، والمسائل العلمية، ليس هذا محل بسطها.

ومن بركة العبد الصَّالح، ومَن رِزْقِ الله أن يرزقه بيتًا واسعًا، أو مَرْكبًا، أو زوجة صالحة، فالزوجة الصالحة لها دور كبير في حياة الداعية أو حياة المسلم، فالزوجة الصالحة تحمل هَمَّ الدعوة، وتحمل هَمَّ الأمة، ولا تحمل فقط هم أَكْلها وبَيْتها ومعيشتها فقط وزينتها، لا، المرأة الصالحة تعيش هموم الأمة الإسلامية، المرأةُ الصَّالحة لَبِنَةٌ قوية في بناء الدولة الإسلامية؛ لذلك يجب الاهتمام بتربية الزوجة، ويجب الاهتمام بتربية الزوجة، وَمِنْ أصلح وأنفع وسائل التربية (تربية الزوجة): أن تخرج معها، وتصعد معها إلى كل مرحلة علمية أنت صعدتَ إليها، ولا تجعلها في جهلٍ، ولا تجعلها في غفلةٍ، وتجعلها دائمًا عاكفة على الهاتف، تتفقَّد هذا وهذا، ولكن إذا وصلت مرحلةً علميةً، فلا بدَّ أن تُعلِّمها، ولا بد أن تجلس معها، أنت اليوم حضرتَ مجلسًا علميًّا، فارجع إلى البيت، واشرح لها على قدر فهمها حتى تعيش معك هموم الأمة، وتعيش معك الفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ، أمَا إنك تعزلها وتنعزل عنها، وهي تحب ذلك، وتسعى في مشاغل البيت، فهذا يُفْسد الحياة الزوجية عندما تفترق العقول، كذلك تفترق الأبدان دون أن تشعر هذه العزلة الحسِّية، وهذا يسمُّونه الطلاق العاطفي، وهو أن المرأة لا تهتمُّ إلا بمصالحها؛ لأنَّ الزوج لم يشركها في هموم الأمة، فقط هذا أكل وشرب ومعيشة، نعم هذا مطلوب، ولكن الأهمَّ من ذلك أن

تكون رِدءًا لك، تعيش همَّك, ماذا تفعل، ماذا تقول، ماذا تدعو، هكذا كانت أُمُّنا خديجة ڤ، خير معين بعد الله † للرسول ﷺ، ساندته بنفسها ومالها، ورَزَقه الله † منها الولد؛ لذلك عندما ماتت، كانت أُمُّنا عائشة ڤ تَغار منها وهي ميتةٌ، وهذه طبيعة النساء، فلا بدَّ أن يراعي الرجل مثل هذا، يراعي طبيعة المرأة، فقالت أُمُّنا عائشة ڤ للنبي ﷺ: ألم يُبْدلك الله خيرًا منها؟ قال: **«لا والله، ما أبدلني الله خيرًا منها»**.

لذلك، عندما يتكلَّم العلماء في أيهما أفضل: خديجة أم عائشة؟ من هذا النص يقولون: خديجة ڤ أفضل، أمَّا الذي قدَّمته أُمُّنا عائشة بعد ذلك للأمة من فقهٍ وعلمٍ وغير ذلك فهي أفضل من هذا الباب، لذلك أقول: يجب على الأخ المسلم أن يراعي زوجته وأولاده ويرفق بهم **«خيرُكُم خيرُكُم لأهله، وأنا خيرُكُم لأهله»**، فارفق بهذه المسكينة، وخُذْ بيدها وعلِّمها التوحيد والسنة، وعلِّمها معتقد أهل السنة والجماعة دون غلو وإفراط أو تفريط، فلا بدَّ أن تُعلِّمها أن تعيش معك هموم الدعوة حتى لا تغضب منها وتقول لها: أنتِ لا تهتمِّي! فأنتَ لم تُخْبرها، ولم تُعلِّمها، ولم تجلس معها، وحتى تصلح البيوت وتسد الثغرات لا بدَّ ألَّا يصعد الرجل مرحلةً علميةً إلا وزوجته معه حتى تكون رِدءًا له.

والشاهد: أنَّ أوَّل ما نزل من القرآن هذه الآيات المباركات التي هي فيها رحمةٌ للعباد.

«أن أوَّل آية أرسله الله بها»، يعني: أول أمرٍ كلَّفه الله بها من البلاغ، فهذا خلاف البعثة، فقد بُعِثَ ﷺ نبيًّا بـ (اقرأ)، وأُرْسل بـ (المدثر)، إذًا: هناك بعثة، ورسالة.

(يا أيها المدثر)، أي: معناه: يا أيها النائم الذي تغطَّى في ثيابه، وقد تدثَّر،

أي: تحمَّل هذا الأمر الثقيل، وهو أمر الرسالة، وتبليغها للناس، والخطاب هنا إلى رسول الله ﷺ، ولكلِّ داعيةٍ إلى الله بصدقٍ عليه أن يعلم حقيقة هذا الطريق (طريق الدعوة)، (طريق الأنبياء والرسل)، ليس أمرًا سهلًا، بل هو ثقيل يطرد النوم من العيون، والراحة من الأجساد، ويودِّع هذه الراحة في القلوب، فالداعية الصادق المحب لدينه يشعر بالراحة والسعادة عندما يدعو إلى التوحيد والسُّنة، يدعو النَّاس إلى دين الله، وإلى التعرُّف على هذا الإله العظيم، وهذه السعادة واللذَّة لا يتذوَّقها إلا مَنْ قرأ سيرة رسول الله ﷺ ليعلم كم هي غالية دعوة التوحيد، بل هي أغلى من الدنيا وما فيها، و﴿ﮪ ﮫ ﮬ﴾ ليس خطابًا للنبي ﷺ فقط، بل هو خطابٌ لكل مسلمٍ وداعيةٍ لكي يعمل لهذا الدين، فلا بد أن يعلم أن هذا الطريق (طريق الدعوة) ليس فيه راحة، فإنْ كنتَ تبتغي الراحة في العمل لدين الله والدعوة، فأنت مخطئٌ في هذا التصوُّر؛ لأنَّ الذي يعمل لدين الله لا يشعر بالراحة أبدًا إلا في الجنة، فقد قيل للإمام أحمد: «متى الرَّاحةُ يا إمام؟ قال: الراحة في الجنة. قال: وهل تأمن مكر الله؟ قال: لا حتى وإن كانت إحدى قدمي في الجنة».

فالعَمَلُ لدين الله لا بدَّ أن يحدوه العزم والهمَّة، فأنتَ تعمل لدين الله، وأنت أجيرٌ عند الله ، فعليك أن تعمل لنفسك، ثم بعد ذلك الراحة في الدنيا، والراحة في الآخرة، فالعمل لدين الله لا بد أن يكون منظمًا مرتبًا, ولا بد أن تُوزَّع فيه الأدوار، وكل مسلم في الجماعة المسلمة لا بد أن يعرف دوره بصدقٍ وأمانةٍ حتى يقوم به، أمَّا الكسل والتَّراخي ثمَّ تأتـي الأمور كيفما اتفق، فهذا ليس عملًا لدين الله ، فأنت تلعب، ونخشى أن يصدق فيك قول الله : ﴿ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ﴾ [الأعراف:51]، الَّذين يتَّخذون هذا الدين لهوًا ولعبًا، يعني: يعطون الدين ما فضل عن وقتهم ومزحهم ولعبهم، فهذا ليس بدينٍ، وهذا

الشخص لا يعمل لدين الله †, فأنتَ تعمل مع الله، وشرفٌ لك أن تعمل مع الله، وشرفٌ لك أن تعمل لدين الله †، فلابدَّ للمسلم وليس للدعاة فقط، ولا لطلبة العلم فقط، لا بدَّ أن يعرف كلٌّ دورَه تجاه هذا الدين، ولا بد أن تكون لبنةً صالحة في بناء الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم، هذا الَّذي يجب عليك، أما إنك تقول ساعةً وساعةً، فلن ينفعك هذا، بل ينبغي أن تخشى على نفسك أن تأخذك الدنيا، وتتخطَّفك مشاغلها وصوارفها، فيُخْتم لك بغير الحسنى، نسأل الله السلامة والعافية.

لذلك، تمسَّك بالعلم، وبمجالس العلم والدعوة، وتمسَّك بقدر استطاعتك، ولا نقول لك: كُنْ كالإمام أحمد، أو ابن تيمية، ولكن كُنْ على الطريق، ولا يعنيكَ متى تصل، ولا يعنيك أن تصل إلى نهاية الطريق، ولكن كُنْ على الطريق، فإذا جاءك الموت، متَّ وأنت على الطريق، وهذا الذي نريد، واخْشَ على نفسك من التفلُّت والزيغ والضلال؛ لذلك تمسَّك بالوحدة والعمل الجماعي ﴿ڦ ج ج ج﴾ [آل عمران:103]، فلا يأكل الذئب إلا القاصية من الغنم، كما قال النبي ﷺ، ولا تقل: أعمل وحدي، وأدعو وحدي، لا، فأنت ضعيف بنفسك، قوي بإخوانك، ولا بدَّ أن تلتحم معهم، ولا بد أن تُشَاركهم في هموم الدعوة، والدعوة إلى دين الله †، كما كان النبيُّ ﷺ يدعو، ثم كلُّ مَن يدخل إلى هذه الدعوة يُشْركه ويُكلِّفه بأعمالٍ، فيقوم بها خير قيامٍ؛ لأنه فَهِمَ دوره في هذا البناء، وفَهِمَ حقيقة ما يقوم به في هذا البناء، فلابدَّ من الوحدة والاجتماع على الخير، ولا بد من الاجتماع على مجالس العلم، وحِلَقِ القرآن، والدعوة إلى الله، والعمل لله، وكلٌّ له دوره، أسأل الله أن يوفقنا وإياكم.

كما قال رسول الله ﷺ يوم خيبر في «صحيح البخارى»: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ علَى يَدَيْهِ». قالَ: فَباتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أيُّهُمْ يُعْطاهَا، فَلَمَّا أصْبَحَ النَّاسُ، غَدَوْا علَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ يُعْطَاها، فَقَالَ: «أيْنَ

عَلِيُّ بْنُ أبِي طالِبٍ؟»، فقالوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يا رَسولَ اللَّهِ. قالَ: «فأرْسِلُوا إلَيْهِ فَأْتُونِي بهِ»، فَلَمَّا جَاءَ، بَصَقَ في عَيْنَيْهِ، ودَعَا له، فَبَرَأَ حتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وجَعٌ، فأَعْطاهُ الرَّايَةَ، فقالَ عَلِيٌّ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أُقاتِلُهُمْ حتَّى يَكونُوا مِثْلَنا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ علَى **رِسْلِكَ** حتَّى تَنْزِلَ بساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلَى الإسْلامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عَلَيهِم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَواللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ **حُمْرُ النَّعَمِ**».

فإنَّ النبي ﷺ يُبيِّن لنا أن هداية رجل واحد عن طريق البلاغ الحكيم المبين خيرٌ من الدنيا وما فيها، فلا راحة للأجساد، ولا نوم للعيون، بل راحة القلوب واستبشار بما عند الله لمَن صار على طريق الرسل والأنبياء.

وهذا فيه موعظةٌ لمَنْ يعمل لدين الله في الدعوة، فلابدَّ أن تستبشر وتدعو الله لأنْ يرزقك واحدًا فقط يكون يوم القيامة في موازين حسناتك بكلِّ ما يقوم به من أعمال، فأنت - والله - قد أفلحتَ ونجحتَ وفزتَ، فهذا ما يحدوك ويجعلك تعمل لدين الله ۵، ولا تمل، بل تقاوم نفسك، وتجاهد نفسك بكلِّ ما تستطيع.

وأوَّل الأنبياء آدم ؑ، وأول المرسلين نوح ؑ، وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وهذا على تعريف النبي والرسول.

قوله: «قم فأنذر»، أي: قُمْ من مكانك، واطرح عنك غطاءك الذي تدثَّرت به، وتغطَّيت به، ولَبِّ دعوة ربك، وأنذر هؤلاء، فقد مضى عصر النوم, أنذر أهلك وعشيرتك وقومك الذين يظنُّون أنهم على الدين، وعلى خيرٍ وصلاحٍ يظنون أن الطاعات التي يؤدُّونها من حجٍّ وعمرةٍ وطوافٍ ونذرٍ وذبحٍ للفقراء والمساكين، وإغاثة الملهوف، ونجدة المظلوم، يظنُّون بهذه العبادات أنَّهم خير خَلْق الله، قُمْ يا محمد، وأنذرهم وبلِّغهم أنَّهم ليسوا على شيءٍ، وأنَّ هذه الأعمال

التي يعملونها، والقربات الَّتي يتقرَّبون بها إلى الله لن تزيدهم من الله إلا بعدًا ومقتًا وغضبًا؛ لأنها لا تنفعهم، فهي هباء منثور، لن يتقبلها الله منهم؛ لأنهم كفار مشركون، أعلمهم هذا، وبلِّغهم دعوة التوحيد، وأنذرهم عن الشرك والكفر وصرف العبادة لغير الله تعالى، أنذرهم أن كل عمل وطاعة لا تُقبَل ولا تُسمَّى طاعةً أصلًا إلا مع التوحيد، ولا يجوز ولا يحقُّ للداعية أن ينشغل بالدعوة إلى الواجبات قبل بيان الأصول التي تمَّ بناء عليها هذه الواجبات، فلابد أن يؤصل أصلًا حتى يبني عليه، فعلى كل داعية أن يبدأ دعوته بدعوة الرسول كما بدأ الله تعالى، وكما بدأ بها رسول الله ﷺ، الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده بالعبادة كما نُفْرده بالخَلْق، كذلك يجب إفراده بالحكم والأمر والملك والتَّشريع، فكلُّ دعوة على غير منهج الرسل دعوة باطلة، وسمِّها ما شئت، يعني: سَمِّ أي دعوةٍ على غير منهاج النبوة ما شئتَ، سمِّها دعوةً إصلاحيةً، دعوةً اجتماعيةً، دعوةً تكافليةً، ولكن هذه ليست دعوة الأنبياء والرسل، سمِّها دعوة اجتماعية، دعوة تكافلية، دعوة إصلاحية، لكن ليست هذه دعوة الرسل،

والناس هكذا اليوم، إذا ذهبتَ إليهم وهم يطوفون حول القبور، ويطلبون من الأموات، ويذبحون لهم الذبائح، وينذرون لهم النذور، وقلت لهم: هذا كفرٌ وشركٌ بالله، ينكرون عليك، يقولون: كيف تقول هذا؟!! نحن نعبد الله، نحن نقيم الليل، ونحج ونعتمر، ونصوم ونتصدَّق؟ نقول: هذا تمام الَّذي كان على كفار قريش، وجاء النبيُّ ﷺ لينذرهم ويحذرهم، فهذا هو دين قريش، بل هم أفقه منكم؛ لذلك تحصل عداوة هنا كما حصلت العداوة من قريشٍ للنبي ﷺ عندما أنكر عليهم، عندما قال لهم: هذه لا تنفع، ولا تضرُّ، كذلك يقابل الداعية في واقعنا عندما تقول له: هذا تحاكمٌ إلى الطاغوت، وتشريعٌ مخالفٌ لله †، وهؤلاء أموات لا ينفعون، يقول لك: هؤلاء صالحون، وهذا ديننا، فتبدأ من هنا العداوة،

ويرمونك بكل التُّهم: أنت إرهابيٌّ، أنت متطرفٌ، أنت من الخوارج، وأنت كاهنٌ، وأنت ساحرٌ، وأنت مجنونٌ، هكذا هي تُهَمٌ على مرِّ التاريخ لأهل الصلاح وأهل الدين، وهذا على مرِّ التاريخ، فلا يغرنك ولا يضرك هذا.

وانتبه لهذا جيدًا، فهذا هو أصل الخلاف، وهو: أن يبدأ الدعاة بغير ما بدأ به الله استعطافًا للناس حتى يكون معك، وحتى يكثروا سوادك، وحتى يؤمنوا بدعوتك، مجرَّد جمعٍ للناس فقط، ولو كان هذا منهجًا، لَفَعله النبي ﷺ، ودخل معهم من باب ما هم عليه من خيرٍ وصلاحٍ أقرَّه الإسلام (نصرة المظلوم، ورعاية اليتامى والأرامل والمساكين، وغير ذلك مما يحبُّه الإسلام)، لكن هذا ليس أوَّل الإسلام، وليس هذا ما يجب أن يبدأ به، فلو فعل هذا، لَوَجد النبي ﷺ عليه أعوانًا، كذلك الداعية في هذا الواقت لا يبدأ إلا بما بدأ به الله، ولا يجوز له أن يدعو إلى الصلاة والصوم والحج والعمرة وهناك شركٌ في المجتمع، فلا يجوز له أبدًا هذا الأمر إنْ كان على منهاج النبوة, فعليك أن تفعل كما فعل الله ورسوله ﷺ، تدعو الناس إلى التوحيد، وإلى الأصل الذي يُبنَى عليه، وتُقبَل هذه العبادات جميعًا, فإذا عَادَوْك، فأَبْشِرْ فقد عَادَوا مَن هم أفضل منك، عَادَوا النبي ﷺ، وعَادَوا الأنبياء والمرسلين والمصلحين والصالحين، إذًا: أنت لستَ بِدعًا من الناس فأبشر، ولكن اثبت على ما أنتَ عليه، والْتَزم الحكمة والرحمة في الدعوة.

وكان في مقدور النبي ﷺ إذا أراد أن يجمع حوله الناس لكي يؤمنوا بدعوته ويناصروه أن يُحوِّلها إلى دعوة إصلاحية اجتماعية، ويترك الناس على ما هم عليه من شركٍ وكفرٍ وضلالٍ وانحرافٍ عن فطرة الله، ويدعوهم إلى العفة، وكفالة الأيتام، ورعاية الأرامل، ونجدة المظلوم، والصلاة إلى البيت، والزكاة، والإنفاق، والصدقة، والصوم، وقيام الليل، وإنْ فعل ذلك، سيجد معه أعوانًا

كثيرين يؤيدونه وينصرونه، لكنه وحاشاه ﷺ أن يعدل عن أمر ربِّه، وعن النذارة عن الشرك والكفر والدعوة إلى التوحيد، وإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له.

فهذه مهمة الرسل:

تبليغ رسالة الله، وبيان التوحيد للناس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر, إذًا، هذه مهمَّة الرسل هي البلاغ عن الله †، وهي أول مهمة ﴿ﭽ ﭾ ﭿ﴾ [النساء:165]، يبشر ويحذر، فلا بدَّ أن تبلِّغ، ويستفيض البلاغ، ولا تقول: أُبلِّغ فقط سنةً وسنتين وعشرًا، لا، ينبغي أن يستفيض البلاغ من الناس.

وأعظم المعروف التوحيد, وأعظم المنكر الشرك بالله، فشرك العرب كان في عبادة الأصنام، وصرف العبادة لها، والشرك في عصرنا عند الرافضة والصوفية الشركية هو السجود للأصنام والأوثان فقط، وإن قيل لهم: ما تفعلونه من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وصرف العبادة لهم من ذبحٍ وطوافٍ هو شرك، قالوا: لا، ليس هذا شركًا، بل تبركًا وتوسلًا وتقربًا لأولياء الله، وليس بشركٍ ولا كفرٍ، إنما الشرك والكفر السجود للأصنام وعبادة الأوثان.

وأصول الشرك أربعة:

أصول الشرك)، يعني: الشرك أنواعه كثيرة جدًّا لا تنحصر؛ سواء كان شركًا أكبر أو شركًا أصغر؛ لذلك يجب عليك كطالب علم أن تعرف أصول الشرك، وهي الأصول الجامعة للشرك، ثم كلُّ نوعٍ من هذه يتفرَّع عنه أنواعٌ كثيرةٌ، فإذا أحكمت هذه الأصول عرفتَ ما يتفرَّع منها

شرك الدعوة (دعاء غير الله تعالى)، وهو:

أن يدعو الإنسان غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كأن يدعو ميتًا، أو غائبًا، أو حيًّا حاضرًا، أو جنيًّا، أو شجرة، أو قبرًا، أو وليًّا، أو ملكًا، أو غيرهم

ممَّن هو عاجز لا يقدر، فيكون قد أشرك بالله ٥ شركًا أكبر يخرجه من ملَّة الإسلام.

وسواء أكان هذا الدعاء طلبًا للشفاعة أم لغيرها، كأن يسأل إنسان المدد، أو قضاء الحاجات، أو تفريج الكربات، أو إغاثة اللهفات، قال الله تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ﴾ [العنكبوت:65].

وقال سبحانه: ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ﴾ [الجن:18]. يعني: إذا كان هناك قبر في مسجدٍ، فلا تجوز الصلاة في هذا القبر، وقد فصَّلنا هذه المسألة في أكثر من موضعٍ، وقلنا: الحالات الَّتي يكون فيها القبر إمَّا في داخل المسجد، أو قِبْلته، أو في خارج المسجد، أو في داخل سوره، أو في خارجه بتاتًا، كلُّ حالةٍ من هذه الحالات لها حكمها، والأصل العام أنَّه لا تجوز الصلاة في مسجدٍ به قبرٌ.

وقال سبحانه: ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ﴾ [الشعراء:213].

وقال سبحانه: ﴿ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ ئم ئى □ □ □ □ □﴾ [يونس:106]، يعني: المشركين.الظلم الأكبر(الظالمين) هنا الظلم الأكبر، يعني: من المشركين.

فقد حَكم الله تعالى على مَن دعا غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه بالشرك، قال: ﴿ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ﴾ [العنكبوت:65].

وقال سبحانه: ﴿ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ﴾ [فاطر:١٣، ١٤]، فسمَّاه الله شركًا.

هذا الاسمُ لازمٌ له بالوصف الذي قاموا فيه، صحيح عندما يأتـي أحدٌ من أهل الإرجاء أو مَنْ دخلت عليهم شبهات الإرجاء، ويقول: لا، هو مسلم، لا تُسمِّه مسلمًا، أو تُفرِّق بين الكافر الأصلي، والمنتسب إلى الإسلام، والله † لم

يُفرِّق، والنبي ﷺ لم يُفرِّق، ففي الوصف والاسم لم يُفرِّق، أمَّا هل هذا التفريق يجوز عند إقامة الحجة عند القاضي؟ هذا يختلف، فينبغي استيفاء الشروط، وانتفاء الموانع حتى تثبت التهمة، وهذا كلُّه عند التقاضي، أمَّا قبل هذه المرحلة، فهو ينطبق عليه الاسم بالوصف.

وقد حَكَم الله † على مَنْ دعا غيره بالكفر، فقال: ﴿ی ی ی ی ی ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې﴾ [المؤمنون:117].

وقال †: ﴿ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ﮤ ہ ہ ہ ھ ھ﴾ [الزُّمَر:3]، فَحَكَم عليهم بالكذب، وكفَّرهم بهذا العمل في قولهم: ﴿ک ک گ گ گ گ ڳ﴾.

يعني: لو أنك ذهبت إلى عُبَّاد القبور، وقلتَ لهم: أنتم تعبدون هؤلاء؟!! قالوا لك: ما نعبدهم، نحن نعرف أنَّ الله هو الرازق الخالق المحيي المميت، بيده كل شيءٍ، فتسأل: لماذا تفعلون هذا عند الأموات وعند قبور الأموات؟!! قالوا: هؤلاء أناس صالحون، ومن صلاحهم نطمع أن يشفعوا لنا عند الله †، وأن نطلب منهم أن يدعوا الله لنا، ولكن نعرف أنهم أمواتٌ، ولكن لصلاحهم ندعوهم. نقول: هم ماتوا!! قال: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ﴾ [يونس:62]، هو يقول: هذا وليٌّ من أولياء الله، فتقول: أكمل الآية حتَّى يتبيَّن لك أن هذه الولاية ليست خاصةً بالأموات، بل كل مؤمن تقي هو لله وليٌّ، فلماذا تحصل ولايةٌ في الأموات ولم تحصل للأحياء؟

وبيَّن الله † أنَّ غيره من المدعوين لا يملكون للداعي شيئًا، ولا يستطيعون إجابة دعائه، قال تعالى: ﴿ڈ ڈ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ک﴾، والقطمير هو: اللفافة الرقيقة البيضاء على نواة التمرة.

وقال: ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾، أي: لا يسمع؛ لأنه غائب، أو ميت قد بليت عظامه، وصارت ترابًا ﴿ﮗ ﮘ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ﴾.

يعني: إنْ تدعوا الأموات الذين ماتوا وجيفوا، لا يسمعوا دعاءكم، ولو فرضنا جدلًا أنهم سمعوا دعاءكم فالله سبحانه يرد عليهم: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ﴾ [فاطر:14].

وهذا النوع من الشرك في الدعاء انتشر ووقع فيه كثيرٌ من المشركين قديمًا وحديثًا، ووقع الالتباس فيه من أهل البدع أنَّهم جعلوا الطلب من الميت بدعةً، ثم حرَّفوها وقالوا: بدعة غير مكفرة، ثم انحرفوا وقالوا: إنه وسيلة إلى الله, ثم كفروا وقالوا: إنَّه قربى وطاعة، فالطلب من الميت قربة وطاعة، وحب للصالحين أن ندعوهم، ونطلب منهم وهم في قبورهم!! سبحانك ربِّي هذا بهتانٌ عظيمٌ, فالطلب من الميت والغائب شرك وكفر بالله العظيم، وخروج من الدين, وقد فصَّلت ذلك في كتاب «حكم الطلب من الميت والغائب».

شرك الطاعة (طاعة الأمراء والعلماء والكبراء):

النوع الثانــي من أصول الشرك: شرك الطاعة، يعني أن تطيع غير الله في معصية الله †، وسمَّاها الطاعة المطلقة في التحليل والتحريم، وإنما الطاعة في المعروف.

وذلك بأن يطيع غير الله † في معصية الله †، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ﴾ [الكهف:26]، وقال تعالى: ﴿ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ﴾ [الأحزاب:67]، وقال تعالى: ﴿ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ﴾ [يس:60]، وقال تعالى: ﴿ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ﴾ [الشورى:21]، وقال تعالى: ﴿ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ

ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ﴾ [التوبة:31].

وعن عدي بن حاتم ﭬ، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ﯗ ﯘ ﯙ﴾، فقلت له: إنَّا لسنا نعبدهم، فَقَالَ ﷺ: «أليسوا يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم فتحلُّونه؟»، فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتُهُم».

يا رسول الله، إنَّهم لا يعبدونهم، يعني: لا يعبدون الأحبار والرهبان، ولا يسجدون لهم، ولا يركعون، فقال الرسول ﷺ: «أليسوا يحلُّون الحرام فيحلُّونه، ويُحرِّمون الحلال فيُحرِّمونه؟». قال: بلى. قال: «فتلك عبادتهم».

قال تعالى: ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾ [الأنعام:121]، فصرَّح بأنهم مشركون بطاعتهم. إذا الصُّورة الساذجة الموجودة عند بعض الناس أنَّ العبادة أنك تسجد وتركع للمعبود، فهذه الصورة لم تكن موجودةً عند كفار قريش، بَلْ هم كانوا يعرفون أنَّ هذه أصنام فقط، ولكن يأخذونها زُلْفًا إلى الله †، وقربًا إلى الله †؛ فلذلك كان عديٌّ ﭬ يقول: ما نعبدهم يا رسول الله، ولا نسجُدُ لهم، ولا نركع، فظنَّ أن العبادة هي السجود والركوع، قال: لا، العبادة هنا في التَّشريع من دون الله †، فإذا اتَّبعتَ تشريعًا غير تشريع الله، فقد أطعتَ مَنْ شرَّع، وقد كفرت بالله العظيم؛ لأن التشريع حقٌّ لله †، فالطاعة هنا في التشريع، أطاعهم فيما شرعوا، وفيما حللوا ممَّا حرمه الله، وحرَّموا مما أحل الله فأطاعوهم في ذلك؛ لذلك كفَّرهم الله †، وكفَّرهم رسول الله ﷺ.

لذلك، عندما قال الله † وعَتَب على من يقول ذلك في الكفار من المسلمين، ظنُّوا بهم حسنًا، فقال: ﴿ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ [محمد:26]، وليس كلُّ الأمر، إذًا: البعض هنا كالكلِّ؛ لأنَّ الشرك هنا لا يتجزَّأ، بل كأنه شرك أكبر، ولكن يُغلَّظ ويتفاوت في دركاته، نعم فالله † لمَّا شرع تشريعًا، ألزم به البشر، ومَن يخرج عن هذا التشريع، أو شرَّع من دون الله، وأطاعه الناس في هذا، فهو قد عَبَده من دون

الله، أي: قد أطاعه في معصية الله.

وهذا الإشراك في الطاعة ... واتباع «التشريع المخالف لِمَا شرعه الله تعالى، هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: ﴿ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ﴾ [يس:60، 61].

وقوله تعالى عن نبيِّه إبراهيم: ﴿ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ﴾ [مريم:44].

يعني: لا تتَّبعوا تشريع الشيطان، وقوانين الشيطان؛ كالقوانين الوضعيَّة الآن التي يُحكِّمها الناس في دمائهم ورقابهم وأموالهم وأعراضهم، فهذه قوانين الشيطان، فمَنْ أطاع هذه القوانين، فقد أطاع الشيطان وعَبَد الشيطان، وليس معنى عبادته للشيطان أن يسجد للشيطان، لا، لا ينقدح في ذهنك هذا، بل الشِّرك والكفر أن تطيع أولياء الشيطان الذين يُشرِّعون للناس شرعًا غير شرع الله †.

شرك الإرادة والقصد والنية:

وهو شركٌ في الألوهية، ونوعٌ من أنواعه، وهو إرادة الإنسان بعمله غير وجه الله تعالى؛ بأن ينوي بأعماله الدنيا، أو الرياء ونحو ذلك، إرادة كلية أو جزئية، بأن ينوي الإنسان بعمله غير التقرُّب لله، وطلب الجزاء منه، أو أن يأتـي بالعبادة رياءً، أو لأجل الدنيا، وتحصيل أغراضها.

شرك النسك [الذبح والنذر]:

الشِّرك في النُّسك والشَّعائر، ومنه: تقديم النذر والذبح والاستغاثة لغير الله ٥، قال الله تعالى: ﴿ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ﴾

[فاطر:14].

وقد أجمع العلماء على أن مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، كَفَر، قال الله تعالى: ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ﴾ [الأنعام:162، 163]، والنسك هو الذبح.

وبيَّن سبحانه في هذه الآية أن الذبح لغير الله شركٌ بالله؛ كالصلاة لغير الله، قال تعالى: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ﴾ [الكوثر:1، 2]، أمَر الله سبحانه نبيَّه في هذه السورة الكريمة أن يصلي لربه وينحر له، خلافًا لأهل الشرك الذين يسجدون لغير الله، ويذبحون لغيره، وينذرون لغيره من الأموات.

❀ ❀ ❀

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة، يعرفون أنها من الظلم والعدوان؛ مثل: الزنا وغيره، وعرفت أيضًا أنهم يفعلون أشياء كثيرة من العبادات يتقرَّبون بها إلى الله؛ مثل: الحج والعمرة، والصدقة على المساكين، والإحسان إليهم، وغير ذلك، وأجلُّها عندهم: الشرك، فهو أجلُّ ما يتقربون به إلى الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنَّهم قالوا: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ﴾ [سورة الزمر آية: ٣]، ﴿ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ﴾ [سورة يونس آية: ١٨]، وقال: ﴿ﭥ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭯ ﭰ﴾ [سورة الأعراف آية: ٣٠].

الشرح

هذا واقع بعض الَّذين ينتمون إلى الإسلام اليوم، يعرفون الحرام والفواحش والمنكرات من الزنا وشرب الخمر والربا والظلم، وهذه محرمات مذمومة، ومع ذلك يفعلون طاعات وعبادات جليلة مثل: الحج والعمرة والصدقة على الفقراء والمساكين، يقومون بهذه العبادات قربةً إلى الله تعالى، لكن أجل وأعظم هذه العبادات عندهم ويُسمُّونها قربات إلى الله هي الشرك بالله، يتقرَّبون إلى الله

بالشرك، وصرف العبادة - الَّتي هي حق لله - لغير الله، يدعون الأموات، ويطلبون منهم، ويستغيثون بهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويطوفون حول قبورهم، ويُقبِّلون العتبات والجدران تقربًا إلى الله ﴿ه ه ه ے ے ۓ﴾، ونحن نعرف أنَّهم أمواتٌ، ولكنهم صالحون أكثر منَّا؛ لذلك ﴿ک ک گ گ گ گ ڳ﴾، فلم ينشغل النبيُّ ﷺ أولًا بالتحذير من هذه الموبقات والمعاصي والفواحش، وانشغل بما هو أهمُّ وأَوْلَى: الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك كما أمره الله تعالى.

فأوَّل ما أمره به: الإنذار عنه قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما:

أول أمرٍ أمَره الله به هو الإنذار عن الشرك قبل الإنذار عن الزنا والفواحش؛ لأنه الأصل الذي تُبنَى عليه، فلابدَّ من وجوده، وإلَّا كل عملٍ بدونه عدم؛ لأن الشرك الأكبر مُحْبط لأصل الإيمان، ولا ينفع مع الشرك طاعة؛ لذلك كان حتمًا لازمًا الإنذار عن الشرك أولًا، وبيان التوحيد، وتحرير مناطه في واقع الناس، وهذا الذي فَعَله النبي ﷺ هو الذي يجب على الدعاة وأهل العلم، ولا يُقبَل منهم غيره، ولا يجوز لهم أن يحذروا الناس من الفواحش والمنكرات والناس يغرقون في الشرك والكفر.

فلا يجوز للداعية أن يدعو الناس إلى الصلاة، والصيام، ومكارم الأخلاق، وهو يراهم يُشْركون بالله في كل مكانٍ، ويذهبون إلى هذه المعابد الوثنيَّة الشركيَّة، ويتقرَّبون إلى الأموات بالقربات الَّتي لا تُصرَف إلا إلى رب الأرض والسموات, لا يجوز للدعاة وأهل العلم أن يتركوا الناس في شركهم وكفرهم، وتقرُّبهم إلى الموتى وأصحاب القبور والأضرحة والقباب والمقاصير؛ مثل: البدوي والدسوقي والحسين وعلي، يطوفون حول قبورهم طوافهم بالكعبة، ويذبحون لهم الذبائح، وينذرون لهم النذور، ويدعونهم في الشدائد، ويطلبون

منهم الرِّزق والولد والشفاء من المرض، وهم يعتقدون بأعمالهم هذه أنَّهم يتقرَّبون إلى الله بهذه الطاعات، ولئن قلت لهم: هذا شركٌ بالله، وهذا كفرٌ بالله، وخروج عن دينه وشرعه، قالوا: كيف يكون شركًا ونحن نحب الله، ونتقرب إليه باتخاذ هؤلاء الصالحين وسائط بيننا وبين الله.

فإن قلت لهم: الله لا يحتاج إلى واسطة، فهو قريب مجيب ﴿ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ﴾ [البقرة:186]، ادعوه وحده، وتقرَّبوا إليه بهذه الطاعات والعبادات له وحده لا شريك له, قالوا: نحن أصحاب ذنوبٍ ومعاصٍ، وهؤلاء أولياء لله أفضل منَّا، فنطلب منهم مباشرة أو نطلب منهم أن يرفعوا طلباتنا وحاجاتنا إلى الله.

فإن قلت لهم: هذا هو شرك كفار قريش الذين كانوا يفعلون مثل فعلكم تمامًا، وكانوا يقولون مثل قولكم تمامًا، فقالوا: ﴿ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ﴾، أي: نحن نعلم أن الله هو الخالق الرازق الذي بيده كل شيء، ما نعبدهم، وما ندعوهم، وما نسجد إليهم، فقط نتَّخذهم وسطاء وشفعاء إلى الله تعالى ﴿ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ﴾، وكفرهم الله، وأمَر نبيَّه ﷺ أن يحذرهم وينذرهم، ويُبيِّن لهم التوحيد، وأن التوحيد ليس معناه أن تعتقد أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت! لا، فهذا لا ينكره أحد، واليهود والنصارى يعرفون ذلك، وكفار قريش يعلمون ذلك ﴿ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ﴾ [الزُّمَر:38]، فإن كنت تعتقد أن معنى (لا إله إلا الله) أنه الخالق الرازق مدبر الكون المحيي المميت، فأنت لم تزد على توحيد كفار قريش!

بل التوحيد ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن تعتقد أنَّه هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي بيده ملكوت كل شيء، القادر على كل شيء.

فإن اعتقدت هذا في ربك، فلابد أن تعبده وتوحده، وأن تعتقد أنه خلقك، فهو - إذًا - مستحق للعبادة وحده لا شريك له، مستحق أن تتوجَّه له وحده بالدعاء

والذبح والنذر والطواف ببيته.

إن التوحيد أن تصرف جميع العبادة له سبحانه؛ لأنه لا معبود بحق إلا هو سبحانه، فلا بد أن تفرده بالعبادة كما أفردته وحده بالخلق والرزق، فتوحده وتفرده بالعبادة والحكم والأمر والتشريع ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى﴾ [الأنعام:162، 163]، وإذا دعوت، فتوجَّه إلى الله بالدعاء، ادعه، واطلب منه وحده سبحانه، وتوكَّل عليه, وإذا تحاكمت فتحاكم إلى شرعه ودينه، ولا تتحاكم إلى غير شرع الله، ولا تجعل حكمًا بينك وبين الناس إلا شرع الله، ودين الله، وحكم الله، ولا ترضَ إلا بالله مشرعًا وحاكمًا، وتكفر بكل مشرعٍ من دون الله، فالله هو المشرع وحده، وهو الحكم، وله الحكم وحده.

هذا هو التوحيد، وهذا هو الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ، وهذا هو فعله ﷺ عندما أرسله الله إلى قوم يصلُّون، ويحجُّون، ويتصدقون، وينصرون المظلوم، ويكرمون الضيف، ويُحْسنون إلى الجار، ولكنهم يشركون بالله، ويصرفون العبادة - التي هي لله - لغير الله, فلم يقل النبي ﷺ إنَّهم على خيرٍ، وعلى دينٍ صحيحٍ، وعندهم طاعات وعبادات، لم يقل هذا، ولم يأمره الله بهذا، بل أمره أن يقول لهم: إنهم على خطر عظيم، وأن الذي هم عليه ليس بتوحيد، وليس بإسلام، وأمره الله أن يُصحِّح لهم هذه المفاهيم الشركية، ويدعوهم إلى الدين الصحيح، ولم يزل كذلك ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى صلوات ربي وسلامه عليه، ظلَّ يدعو إلى التوحيد، ويحذرهم من الشرك والكفر حتى قبل موته صلوات ربي وسلامه عليه

لم يَرْضَ النبي ﷺ بقول الكفار: «ما نريد منهم إلا شفاعتهم»، مع ما هم

عليه من عبادات وطاعات، ولم يلتفت لقولهم: إنَّهم على ملَّة إبراهيم، بل أنذرهم وبيَّن لهم أن ما يقومون به شركٌ وكفرٌ، وصحَّح لهم مفهوم التوحيد، ومعنى الإسلام، وأيقنوا أنَّهم ليسوا على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأنَّ الطلب من الملائكة والأولياء والصالحين والموتى وأصحاب القبور شركٌ وكفرٌ، وأن الشفاعة لا تُنَال لكل أحد، بل هي لأهل التوحيد والسنة، وليست للكفار والمشركين، ولابدَّ لها من الإذن والرضا بإذن الله للشافع، ورضا الله عن المشفوع، فالدعوة إلى التوحيد هي الأصل الذي يبدأ به الداعية، فقد ظلَّ رسول الله ﷺ في مكَّة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد، وترسيخه في نفوس الناس، ولم تنزل الشرائع من تفاصيل أحكام الصلاة والزكاة المفروضة مقدَّرة وصيام رمضان والحج، وأحكام البيع والشراء والنكاح والطلاق، وغير ذلك من شرائع الإسلام إلا في المدينة, عشر سنين ولم يزاحم دعوة التوحيد شيءٌ، وبعد ذلك ظلت الدعوة إليه طوال حياة النبي ﷺ، وقد عاصرت بعض العلماء - $ وغفر له - لم يبدأ محاضرةً، ولا درسًا، ولا موعظةً مهما كان موضوعها حتى لو كانت في الحيض، أو أحكام النساء، أو في صوم، أو أحكام البيوع، أو غير ذلك إلا بدأ $ بالتوحيد، وبيانه للناس، والتحذير من الشرك ووسائله ومظاهره في البلاد الإسلامية، ودعا حكام البلاد الإسلامية إلى تحكيم شرع الله، والحكم بما أنزل الله، وتحذيرهم من مغبَّة القوانين الوضعيَّة، وعقوبة الحكم بغير ما أنزل الله، هكذا يجب أن يكون الدعاة وأهل العلم، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأكبر معروفٍ وأعظم معروفٍ وأول معروفٍ هو الدعوة إلى التوحيد الخالص، وتعريف الناس بربهم، وحق الله عليهم، وأكبر منكرٍ وأعظم منكرٍ يجب التحذير منه هو الشرك والكفر بالله العظيم، هذا هو دين ربِّ العالمين، وهذه هي دعوه المرسلين، يجب أن نتمسَّك بها، وندعو إليها، ونفرح ونستبشر أنَّ الله وفَّقنا لفَهم حقيقة التوحيد، ودعوة المرسلين، ومع ما كان عليه ﷺ، ومع

ما كان عليه الصحابة والسلف الصالح، وأئمة المسلمين ڤ أجمعين، نسأل الله † أن يُثبِّتنا على الحق، ويتوفانا على التوحيد والسنة.

وهكذا يجب أن يكون الدعاة وأهل العلم، يدعون الناس إلى التوحيد حتى لو زالت مظاهر الشرك والكفر من المجتمع، يدعوهم حتى لا يطول عليهم الأمد، ويغويهم الشيطان، ويحرفهم عن الحنيفية ملة إبراهيم ڠ، فما بالك ومظاهر الشرك تنتشر في المجتمع المسلم من قبور وأضرحة تصرف لها العبادات من طوافٍ ونذرٍ وذبحٍ من دون الله، فما بالك من أناسٍ يذهبون إلى الأموات، ويطلبون منهم الفرج والرزق والولد!

فما بالك بأناسٍ يتحاكمون للمحاكم الوضعية، والقوانين الكفرية المخالفة لدين رب البرية سبحانه!

فما بالك بأناس يوالون الكفرة من اليهود وعباد الصليب وأهل الألحاد!

فما بالك بالحكام الذين يُبدِّلون شرع الله، ويُغيِّرون حكم الله بقوانين من أفكارهم ونتاج عقولهم ويجعلونها بدلًا من حكم الله، ويلزمون الناس بالتحاكم إليها، ويبنون لها المحاكم الكفرية، ويحرسونها ويحمونها!

فما بالك بالحكام الذين يفتحون بلاد المسلمين للكفرة والمشركين يعيثون فيها فسادًا، بل يفتحون حدود بلاد المسلمين للكفرة والمجرمين ليضربوا إخواننا المسلمين كما حدث في أفغانستان والعراق والشام وفلسطين!! ويغلقون الحدود في وجه الشعوب المسلمة التي تريد نصرة إخوانها، والشعوب المسلمة المتعطشة للشهادة والاستشهاد في سبيل الله.

وهؤلاء الحكام الطغاة يقفون لشعوبهم بالمرصاد، ويحكمونهم بالحديد والنار

خدمةً لليهود والنصارى، وموالاةً وتوليةً للكفار حتى يبقوا على كراسيهم ومناصبهم وإنْ هلكت شعوبهم، وإن جاعوا، وإن ماتوا عطشًا وفقرًا وقهرًا وظلمًا**!!** هذا الَّذي قلناه وما زلنا نقوله حتى يتوب هؤلاء إلى الله †، ويرجعوا إلى دين ربِّهم، ويدخلوا في الإسلام من جديدٍ، فقد خرجوا من الإسلام من أكثر من بابٍ، وقد بينَّا ذلك في أكثر من موضعٍ.

فيجب على الدعاة وأهل العلم ألَّا يملوا من الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك ومظاهره, بعيدًا عن الحكم على الناس، فليس معنى أنك تدعو إلى التوحيد أنك تحكم بكفر الناس، فكما أنك تدعو الناس إلى الصلاة والصوم، ولا تحكم عليهم أنهم لا يصلُّون، ولا يزكُّون، فكذلك دعوتك إلى التوحيد ليس معناها أنك تكفر الناس بالعموم**!** ليس هذا بلازمٍ، وإن قلت: إن الناس مسلمون أو جاهلون يقعون في الشرك لجهلهم وعدم علمهم، فهب أن هذا صحيح، فلماذا لا تدعوهم إلى التوحيد وترفع الجهل عنهم **!**

وليس معنى أنك دعوت مرات ومرات أن تكفَّ عن الدعوة إلى التوحيد، فقد بينت لك أن رسول الله ﷺ لم يكفَّ عن الدعوة إلى التوحيد طوال حياته حتى في دولة الإسلام في المدينة، وانتشار التوحيد، لم يكفَّ عن الدعوة إلى التوحيد، وكذلك الداعية الصادق لا يكف عن الدعوة إلى التوحيد طالما أن الشرك ومظاهره منتشرة في المجتمع, ولا يكف عن الدعوة إلى التوحيد حتى يزول الكفر والشرك، وينتهي من حياة الناس، وتنتهي معالمه ومظاهره في البلاد، فطالما يوجد قبور وأضرحة تُعبَد من دون الله، فلا بد من الدعوة إلى التوحيد حتى تُهدَم في قلوب الناس، وتزال من على الأرض.

, فليست الدعوة إلى التوحيد مرحلة من المراحل وتنتهي, بل هي مستمرَّة

باستمرار الحياة, مستمرة بوجود الشيطان واستمراره في غواية الناس وإضلالهم.

وطالما هناك محاكم وضعيَّة تحكم بغير شرع الله، فلابد من الدعوة إلى التوحيد حتى يحكم في هذه المحاكم بحكم الله وشرعه، وطالما هناك نُوَّاب شعب وبرلمانات ديمقراطية تشرع القوانين المخالفة لشرع الله، فلا بد من الدعوة إلى التوحيد حتى يكون الله وحده هو المشرع، وهو الحكم، والإسلام هو المرجع في حياة الناس.

ومَنْ يقرأ السيرة، يعرف أن العداوة والبغضاء والحرب والقتل والدمار والتهجير والهجرة وترك الديار لم تحدث إلا من بعد التصريح بدعوة التوحيد، وقبل ذلك كانوا يعيشون في سلام... أنت الصادق، أنت الأمين، أنت... أنت ... فلمَّا بدأ بدعوة التوحيد، أصبحت المفارقة؛ لأنَّ دعوة التوحيد مفاصلة بين الحق والباطل، فكَوْنك ترضى بالضلال والباطل، فأنتَ لا تدعو إلى التوحيد؛ لذلك كلُّ داعية يرضى الباطل عنه، فليُفتِّش في نفسه، فإذا رضي الباطل على الحق، فليُفتِّش الحق في نفسه، فأنت لا تأتـي ما هم عليه من شركٍ وكفرٍ، وتُهَادنهم وتُسَايرهم بحُجَّة مصلحة الدعوة، وبحجة المصالح العامة، وكل هذه الأمور غير معتبرة، فالتوحيدُ هو أصل الدين، وإلَّا لكان النبيُّ ﷺ قد اعتبر هذه الأمور.

عند التصريح بالدعوة للتوحيد ظهرت العداوة.

هكذا فعل رسول الله، لم يجعل دعوته دعوةً اجتماعيةً إصلاحيةً كما يريدها البعض، ولم يدخل في تحالفات اجتماعية تكافلية كما يحب ذلك معظم الناس، لكنه جعلها دعوةً عالميةً وقضيةً أساسيةً أصلية، وهي تعبيد الناس لربِّهم، والتحذير من الشرك الواقع في المجتمع، فهذا هو الأصل الذي يُبنَى عليه كل

شيء، ومن غيره لا أساس ولا أصل، وينهدم كل شيء، هكذا كان، وهكذا يجب أن يكون.

«قم فأنذر»: ولا تمل من النذارة، والتحذير من الشرك حتى تلقى الله.

❁ ❁ ❁

وعرفت أنَّ منهم من تعلَّق على الأصنام، ومنهم من تعلَّق على الملائكة، وعلى الأولياء من بني آدم، ويقولون: ما نريد منهم إلا شفاعتهم، ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آيةٍ أرسله الله بها.

فإن أحكمت هذه المسألة، فيا بُشْراك! خصوصًا إذا عرفت أنَّ ما بعدها أعظم من صلاة الخمس، ولم تُفرَض إلا في ليلة الإسراء، سنة عشرٍ بعد حصار الشِّعب وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين.

❁ ❁ ❁

فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة، والعداوة البالغة، كلُّ ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة، رجوت أن تعرف المسألة.

الشرح

ومَنْ يقرأ السِّيرة، يعرف أنَّ العداوة، والبغضاء، والحرب، والقتل، والدماء، والتهجير، والهجرة، وترك الديار لم تحدث إلا من بعد التصريح بدعوة التوحيد، والتحذير من الشرك، وأن هذه الأصنام والأوثان التي تُعبَد من دون الله لا تنفع ولا تضرُّ، وأنَّ أصحاب القبور الذين ماتوا لا ينفعون ولا يضرُّون، وانقطع عملهم بموتهم، بل هم يحتاجون من الأحياء أن يدعوا لهم بالعفو والرحمة والمغفرة، لا أن يطلبوا منهم الدعاء، عند هذه فقط ظهرت العداوة والبغضاء؛ لذلك يجب على الدعاة ألَّا يلتفتوا إلى ما يقوله الناس عنهم

إذا دَعَوهم إلى التوحيد وإبطال الشرك والتنديد، ولا يعدلون عن دعوة التوحيد لمجرَّد رميهم بالتطرف والغلو، وأنهم لا يحبُّون الصالحين، ويكرهون أهل البيت الطيبين الطاهرين، وأنهم جاؤوا بدينٍ جديدٍ على خلاف ما عليه الناس، وما وجدنا عليه الآباء والأجداد، وأنَّهم يفرقون بين المرء وزوجه والابن ووالده.

ولا يجوز للدعاة أن يلتفتوا لِمَا يقال عنهم من خصوم دعوة التوحيد، وما يتهمونهم به من التُّهم الباطلة التي اتَّهم المشركون بها سيد المرسلين ﷺ من أنه كاهنٌ وساحرٌ ومجنونٌ، أو أنهم إرهابيون متطرفون تكفيريون لمجرَّد الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك، فهذا سر المسألة، وأصل العداوة وسببها.

ومن هنا تعرف أن القيام ببعض العبادات كالتلفُّظ بالشهادة، أو الصلاة أو الحج والعمرة أو الصدقة، وقيام الليل، أو طبع المصاحف، وفتح الكتاتيب، وغيرها من العبادات المنتشرة في المجتمع، لا يجعل الداعية يغضُّ الطرف عن الدعوة إلى التوحيد وبيانه، والتحذير من الشرك الواقع في المجتمع، فتلك العبادات لا تنفع مع الشرك، ويجب النذارة كما فَعَل رسول الله ﷺ.

❀ ❀ ❀

الموضع الثانــي

(أنَّه ﷺ لمَّا قام ينذرهم عن الشِّرك، ويأمرهم بضدِّه، وهو التوحيد، لم يكرهوا ذلك واستحسنوه، وحدَّثوا أنفسهم بالدخول فيه إلى أن صرح بسبِّ دينهم، وتجهيل علمائهم، فحينئذ شمَّروا له ولأصحابه عن ساق العداوة، وقالوا: سفه أحلامنا، وعاب ديننا، وشتم آلهتنا.

ومعلومٌ أنَّه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه، ولا الملائكة، ولا الصالحين، لكن لما ذكر أنهم لا يُدعون، ولا ينفعون ولا يضرون، جعلوا ذلك شتمًا.

هذا كذبٌ، فهل النبيُّ ﷺ شتم آلهتهم، أو سبَّها؟ لا، هو مجرد أنه قال: لا تنفع، ولا تضر، وادعوا الله وحده فقط، لقد قال النبيُّ ﷺ هذا، لكن جعلوه تُهْمةً وسُبَّةً لهم.

ومعلومٌ أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه، ولا الملائكة، ولا الصالحين، لكن لمَّا ذكر أنَّهم لا يُدْعَون، ولا ينفعون، ولا يضرون، جعلوا ذلك شتمًا، فإذا كان هذا في عيسى والملائكة والصالحين، كان من باب أَوْلَى في اللات والعزى ومناة.

فإذا عرفت هذه المسألة، عرفت أنَّ الإنسان لا يستقيم له دينٌ، ولا إسلامٌ ولو وحَّد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ﴾ الآية [سورة المجادلة آية: ٢٢] **؛ فإذا فهمت هذا فهمًا حسنًا جيدًا، عرفت أن كثيرًا من الذين يدَّعون الدين لا يعرفونها، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على**

ذلك العذاب، والأسر والضرب، والهجرة إلى الحبشة، مع أنه ﷺ أرحم الناس، ولم يجد لهم رخصةً، ولو وجد لهم رخصةً لأرخص لهم، كيف وقد أنزل الله عليه ﴿ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ﴾ الآية [سورة العنكبوت آية: ١٠]**؛ فإذا كانت هذه الآية فيمَن وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك؟).**

الشرح

بعد أن بيَّن المؤلف $ في الموضع الأول أن النذارة عن الشرك هي أصلُ دعوة الرسل، وهي سبب العداوة بين الرسل وأقوامهم، وأنَّ الطاعات والعبادة لا تُسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد، بيَّن $ في الموضع الثاني من المواضع التي اختارها من السِّيرة ليعلق عليها، بيَّن فيه ضرورة عداوة المشركين، وأنه لا يستقيم دين العبد إلا باجتناب الشرك وأهله، ليس فقط ترك الشرك واجتناب أهله، بل لابدَّ من العداوة القلبية للمشركين لشركهم، هذا أصلٌ لا يصحُّ إسلام العبد إلا به.

الموضع الثاني: هذا في مسألة الولاء والبراء من المشركين ودينهم ومعبوداتهم، فهذا الموضع الثانـي يتكلم عن الركن الركين من أركان الإسلام (الولاء والبراء)؛ الولاء لأهل الإسلام، والبراء من الكفار والمشركين ومعبوداتهم، فهذا أصلٌ سيتم التفصيل فيه.

بعد أن بيَّن المؤلف $ في الموضع الأول أن النذارة عن الشرك هي أصل دعوة الرسل، وهي سببُ العداوة بين الرُّسل وأقوامهم، وأنَّ الطاعات والعبادات لا تُسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد, بيَّن $ في الموضع الثاني من المواضع التي اختارها من السيرة ليعلق عليها، بيَّن فيه ضرورة عداوة المشركين، وأنَّه لا يستقيم دين العبد إلا باجتناب الشرك وأهله، ليس فقط ترك الشرك، واجتناب

أهله، بل لابدَّ من العداوة القلبية للمشركين لشركهم، فهذا أصلٌ لا يصحُّ إسلام العبد إلا به: (توحيد الله، وترك الشرك، وعداوة المشركين لشركهم وكفرهم، واجتنابهم وشركهم، ووجوب إظهار عداوتهم لمَنْ قدر على ذلك واستطاعه), فلابدَّ لمَنْ قام بالدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك، لابدَّ له من عداوة المشركين له، فَعليه أن يصبر ويحتسب كلَّ ما يلاقيه لله رب العالمين، فالصبر على الأذى من القواعد الأربع الَّتي يسير بها المُوحِّد في طريق الله، وهو علامةٌ من علامات الساعة في طريق الدعوة.

من تعلم العلم الشرعي الذي يُنْجيك من المهالك والمويقات، والعمل بهذا العلم المخلص، ثوابه والدعوة إلى دين الله الذي تعلمته وعملت به، فإنْ قام بالدعوة مقام الأنبياء، سيصيبه مثل ما أصاب الأنبياء ولا بدَّ، فعليه بالصبر على الأذى في سبيل تبليغه لدين الله، وهذا هو تفسير سورة (العصر)، الَّتي قال عنها السلف الصالح: «لو فهم الناس سورة (العصر)، لكفتهم»، ولكن الكثير من الدعاة يدَّعون أنهم على التوحيد والإسلام لم يفهموا حقيقة ما يجب عليهم؛ لذلك تجدهم يوادُّون الذين كفروا والمشركين، ولا يتبرَّأون من شِرْكهم، ويجالسونهم ويمازحونهم كسبًا لودِّهم، ودفعًا لعداوتهم، ويظنون أن فِعْلَهم هذا من الدعوة إلى الله، ومن الحكمة في الدعوة؛ لذلك لا حرج ولا غضاضة بين هؤلاء وهؤلاء، لكي لا يدفع هؤلاء ضريبة صدق الدعوة إلى الله من التعذيب، والسجن، والفصل من العمل، والتضييق على الأولاد في البيوت، والتهديد بقطع الراتب، والعزلة، والنفي من البلاد، وغير ذلك ممَّا يترتب على الصدع بالحق، والدعوة إلى دين الحق، وليس هناك رخصةٌ في قول الباطل، ولكن الرخصة ربما تكون في السكوت عن الصدع بالحق، وإظهار العداوة في حالة العجز والإكراه والمصلحة الراجحة، ودفعًا للمرصدة، فهذا بحسَب القدرة والاستطاعة، والقدرة مناط التكليف، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، أمَّا في

التمسُّك بالإسلام، والدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشِّرك، فلا يوجد رخصةٌ في قول الباطل، أو السُّكوت عن الكفر والشرك، أو المُدَاهنة في ذلك للعالِم والداعية المتبوع، فلا يجوز له أن يسكت عن الشرك والكفر بالله الواقع في مجتمعه، ويتكلَّم على ما هو دونه من الصلاة، والصوم، والفقه، وغير ذلك من أمور الدين، كما قال السَّلفُ رحمهم الله: لا يجوز للخطيب أن يخطب عن الصلاة والكافر محتل جاسم على صدور المسلمين، وينتهك أعراض النساء، ويفسد عقول الشباب, مَنْ فعل ذلك، فقد خان الله ورسوله.

يعني: إذا كان العدوُّ الكافر جاثمًا على بلاد المسلمين، والخطيب يخطب عن أيِّ أمرٍ؛ مثلًا: عن الصلاة، والصيام، فقد خان الله ورسوله، وينبغي له أن يخطب عن الجهاد، والدفاع عن الأراضي والمقدسات والعقيدة والدين، أما أنَّ العدو على الأبواب وأنتَ تتكلم عن الصلاة، وفضائل الأعمال، والأخلاق، فأنتَ في غيبة وعيٍ؛ كالذين يُدَاهمهم العدو وهم يجلسون في مسجدهم، ويقرؤون «صحيح البخاري»!! العدوُّ على الأبواب، والكفار يحتلُّون بلادكم، وأنتم تجلسون في مساجدكم ومجالسكم تقرؤون «صحيح البخاري»، وتقرؤون القرآن، وتدعون الله †، فهل هذا هو عبودية الوقت؟!!

عبودية الوقت أن تحمل سلاحَك، وتجاهد في سبيل الله، وتصد هذا الاعتداء؛ فإمَّا أن ينصرك الله، وإمَّا أنْ تلقى الله شهيدًا، هذا هو الأصل، كما قالوا:

عِش ملكًا أو مت كريمًا فإن تمت وسيفك مرفوعًا بكفك تعذر

فعندما تموت وكفُّك مرفوعًا بهذا السيف، تعذر إلى الله †، أمَّا عن هذا فلا.

يعني: هذا لا يُعقَل، الكفَّار على أبواب البلاد، وأنت تتكلَّم عن طاعة وليِّ

الأمر، وعن مسائل الوضوء والطهارة، هل يُعقَل هذا؟ هل هذا فقه؟ هل هذا في الدعوة؟ ينبغي لك أن تتكلَّم عن الجهاد، وعن نصرة دين الله، وعن الاستشهاد في سبيل الله، وعن دفع العدو الكافر المحتل للأرض والعرض.

هذا الذي يجب أن تتكلَّم عليه, أمَّا أن تتكلَّم وتجلس تدعو الله †، وتقول: سينصرنا؟!! بماذا ينصرك؟ هل أنت أخذتَ بأسباب النصر ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ﴾ [محمد:7]، هل أنت نصرتَ الله في دينه، وفي تحكيم شريعته، وفي الدعوة إلى توحيده؟ هل أنتَ أخذتَ بأسباب النصر؟ فلا بدَّ من فقه الدعوة، ولكل مقامٍ مقال.

وتوحيد الله، وترك الشرك، وعداوة المشركين لشركهم وكفرهم، واجتنابهم وشركهم، ووجوب إظهار عداوتهم لمَن قدر على ذلك واستطاعه.

ولابد لمَنْ قام بالدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك، لابد من عداوة المشركين له، فعليه أن يصبر ويحتسب كلَّ ما يلاقيه لله رب العالمين، فالصبر على الأذى من القواعد الأربع التي يسير بها الموحِّد في طريق الله، وهو علامةٌ من علامات صحة طريق الدعوة.

فمَن تعلَّم العلم الشرعي الذي ينجي من المهالك والموبقات, وعَمِلَ بهذا العلم لله مخلصًا صوابًا, وقام بالدعوة إلى دين الله الذي تعلَّمه وعمل به، فإن قام بالدعوة مقام الأنبياء، سيصيبه مثل ما أصاب الأنبياء ولابد، فعليه بالصبر على الأذى في سبيل تبليغ دين الله، وهذا هو تفسير سورة (العصر) التي قال عنها السلف الصالح: «لو فهم الناس سورة (العصر)، لَكَفَتْهم».

ولكن كثيرًا من الدعاة الذين يدَّعون أنهم على التوحيد والإسلام لم يفهموا حقيقة ما يجب عليهم؛ لذلك تجدهم يوادُّون الذين كفروا والمشركين، ولا يتبـرَّؤون من شركهم، ويجالسونهم ويمازحونهم كسبًا لوُدِّهم، ودفعًا لعداوتهم، ويظنون أنَّ فِعْلَهم هذا من الدعوة إلى الله، ومن الحكمة في الدعوة.

لذلك، لا حرج ولا غضاضة بين هؤلاء وهؤلاء؛ لكي لا يدفع هؤلاء ضريبة صدق الدعوة إلى الله من التعذيب، والسجن، والفصل من العمل، والتضييق على الأولاد في البيوت، والتهديد بقطع الراتب، والعزلة والنفي من البلاد، وغير ذلك ممَّا يترتب على الصَّدع بالحق، والدعوة إلى الدين الحق.

وليس هناك رخصةٌ في قول الباطل، ولكن الرخصة ربَّما تكون في السُّكوت عن الصدع بالحق، وإظهار العداوة في حالة العجز والإكراه، والمصلحة الراجحة، ودفعًا للمفسدة، فهذا بحسب القدرة والاستطاعة، والقدرة مناط التكليف، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

أمَّا في التمسُّك بالإسلام، والدعوة إلى التوحيد، والتحذير عن الشرك، فلا يوجد رخصةٌ في قول الباطل، أو السكوت عن الكفر والشرك، أو المداهنة في ذلك للعالِم والداعية المتبوع، فلا يجوز له أن يسكت عن الشرك والكفر بالله الواقع في مجتمعه، ويتكلَّم على ما هو دونه من الصلاة والصوم والفقه، وغير ذلك من أمور الدين، كما قال السلف رحمهم الله: إنَّه لا يجوز للخطيب أن يخطب عن الصلاة والكافر المحتل جاثمٌ على صدور المسلمين، وينتهك أعراض النساء، ويفسد عقول الشباب! مَنْ فَعَل ذلك، فقد خان الله ورسوله.

فلا يصح ولا يجوز في دين الله أن يعتدي اليهود على المسلمين بالطائرات والدبابات والراجمات، ويقتلون النساء والشيوخ والأطفال، وصور القتلى في كل مكان يشاهدها كل العالَم، ثم يخرج خطيب الجمعة يتكلم عن طاعة ولي الأمر، وعن فقه الطهارة والحيض والنفاس؟ لكل مقامٍ مقال!!

وهل يحمي اليهود ودولة يهود إلا الحكام العرب الذين ينتسبون إلى الإسلام؟! وهل يحمي اليهود ودولتهم إلا الجيوش العربية والإسلامية بجوارهم؟

وهل هناك مسلم عاقل يرى اليهود يهاجرون من كل مكانٍ لنصرة إخوانهم اليهود، وهؤلاء الحكام يفتحون لهم حدود البلاد لينضموا إلى إخوانهم ليقاتلوا المسلمين؟ وعندما تُطَالب الشعوب الإسلامية الحكام بفتح حدود البلاد للجهاد في سبيل الله، ونصرة إخوانهم المسلمين المستضعفين، تُغلَق في وجوههم الحدود، ويعتقلون ويسجنون ويقتلون، ويُضيَّق عليهم، ويتهمونهم أنهم خوارج وإرهابيون ومتطرفون!

إنَّ من شروط ولي الأمر: أن يكون رجلًا مسلمًا بالغًا عاقلًا، مُحكِّمًا لشرع الله، حاميًا لبلاد المسلمين، حارسًا لحدودهم من كل عدوان، فهل هذا يصحُّ أن يقال عليه: ولي أمر المسلمين، وأمير المؤمنين الذي يحمي مصالح اليهود، ويطيع الكفار، ويتولَّاهم ويتبعهم؟

وهل الذين يعبدون ولي الأمر ويقدسونه ما زالوا بعد كلِّ ما يسمعون ويشاهدون من مخازٍ وكفرٍ وردَّة صريحة وتولٍّ للكفار واضحًا، هل ما زال هذا الخائن العميل ولي أمرٍ له السمع والطاعة في الكفر والردَّة، وموالاة الكفار، وتولِّيهم ونصرتهم؟

فلابدَّ من تحقيق عقيدة الولاء والبراء، والحب في الله، والبغض في الله، فلابد من تحقيق الولاء للمسلمين، والبراء من الكافرين، لابد من تحقيق الموالاة والمعاداة كما أمرنا الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ونصدع بذلك، وننصر إخواننا، ونظهر ذلك، ونفخر به، ولا يكن في صدرنا حرجٌ من تطبيق شرع ربِّنا، والعمل بهدي نبينا ﷺ، وإن مسَّنا الضر فالله أرحم الراحمين، وهو رب العالمين، ومهما مسَّنا من ضرٍّ من أجل تحقيق التوحيد، والعمل به في الأرض، ودعوة الناس إليه لا يساوي ذلك عذاب الله وغضب الله إنْ خالفنا أمره.

ولا يمكن لعاقل أبدًا - فضلًا عن مسلم - أن يجعل عذاب الدنيا كعذاب الآخرة، أو يساوي بينهما، فالدنيا سجن المؤمن، والراحة الأبدية في الجنة.

نسأل الله الصبر والثبات على الحق، وحسن الخاتمة على التوحيد والسُّنة.

❀ ❀ ❀

الموضع الثالث

(قصة قراءته ﷺ سورة (النجم) بحضرتهم، فلمَّا بلغ ﴿ﮪ ﮫ ﮬ﴾ [سورة النجم آية: ١٩]، ألقى الشيطان في تلاوته: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى»، فظنُّوا أن رسول الله ﷺ قالها، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، وقالوا كلامًا معناه: هذا الذي نريد، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده، فلما بلغ السجدة، سجد وسجدوا معه، فَشَاع الخبر أنهم صافوه، وسمع بذلك مَن بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ، عادوا إلى شرِّ ما كانوا عليه، ولمَّا قالوا له: إنك قلت ذلك، خاف من الله خوفًا عظيمًا، حتى أنزل الله عليه: ﴿ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ الآية [سورة الحج آية: ٥٢]، فمَنْ فهم هذه القصة، ثم شكَّ بعدها في دين النبي ﷺ، ولم يُفرِّق بينه وبين دين المشركين، فأبعده الله، خصوصًا إن عرف أن قولهم: تلك الغرانيق الملائكة).

الشرح

ماذا نُسمِّي عنوان القطعة؟

«تلبيس الحق بالباطل»، و«المفاصلة بين الحق والباطل»، و«رفع الالتباس عن الحق».

فلابدَّ من مجانبة أهل الكفر، وكذلك التثبُّت مما أنت عليه، وهذا أهمُّ ما في هذا الموضع، وهو التثبُّت مما أنت عليه حتى لا يأتيك الشيطان، أو أعوان الشيطان، أو أنصار الشيطان، ويحرفونك عمَّا أنت عليه، يُشكِّكونك، يقولون: لا فرق بيننا وبينكم!! ونحن نسير مع بعض، فلا بدَّ من المفاصلة، حتى لمَّا سجد النبي ﷺ، قالوا: آمن محمد بآلهتنا، وعرف أنَّها وسائط، وأن شفاعتها ترتجى،

وهكذا فلا بدَّ من المفاصلة.

والمقصود من ذلك: تحذير دعاة الحق من الثناء على الباطل وأهله، ومجانبة أهل الباطل، والتحذير منهم حتى لا يختلط الحق بالباطل، فلابد من المفاصلة والاجتناب.

فدعاة الباطل دائمًا يُشوِّشون على أهل الحق، ويُشِيعُونَ بين الناس أنه لا خلاف ولا فرق، ولكنها اختلافات في وجهات النظر، وأنَّها لا تُفْسد للود قضية؟

يريدون أن يُميِّعوا عقيدة الموحدين في نفوس الناس، ويتمنون أنهم لو ظفروا بهذه المساواة، وأنهم على الحق؟

يسعون لكسب رضا أهل الحق حتى يشيعوا بين الناس أننا سواء، وأنهم يؤمنون بما نؤمن، ويعترفون بعقيدتنا ولا يعيبونها، وهذا الذي نريد، فإن رضي الحق عن الباطل، فهم سواء؟

وهذا الذي كانت تتمنى قريش وتنتظر من رسول الله ﷺ، أن يرضى عن آلهتهم ويمدحها ليثبت شرعيتها وصلاحيتها عندهم وعند الناس، فألقى الشيطان في أسماعهم هذه الفرية والكذبة، ولمَّا سمعوها من الشيطان، فرحوا بها وقالوا: هذا الَّذي كنَّا ننتظر ونتمنَّى أننا على دين محمد، ومحمد على ديننا، وآمَنَ بآلهتنا، وأقر بأن لآلهتنا شفاعة ترتجى، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده تمامًا مثل قول كفار زماننا ومشركي عصرنا وعباد القبور يقولون: هؤلاء أولياء صالحون نتقرَّب لهم، ونستشفع بهم إلى الله، نطلب شفاعتهم لصلاحهم مع أننا نعلم ونعتقد أن الله هو الخالق الرازق، لكننا ندعو هؤلاء الموتى، ونطلب منهم الواسطة بيننا وبين

الله!!

ودعاة الضلال من المرجئة وغيرهم يقولون لأهل التوحيد والسنة: لا خلاف، فهؤلاء مسلمون جهلة تقرَّبوا إلى الله بهذه الشركيات يظنُّون أنها قربة إلى الله، فلا خلاف بيننا وبينكم في أنَّهم أرادوا الحقَّ والطاعات والقربات إلى ربِّ الأرض والسموات، وطالما أنَّهم يقرُّون بقلوبهم أن الله واحد لا شريك له، وأنه خالق السموات والأرض يحيي ويميت، وينطقون بألسنتهم أنَّهم مسلمون، ويشهدون الشهادتين، فلا يضرُّ وقوعهم في هذا العمل الشركي!!

يعني: هم يُهوِّلون من مسألة التوحيد والإيمان والكفر، ويهونون الأمر، فالبنسبة لهم الخلاف في وجهات النظر فقط، أمَّا نحن فمتفقون، ونحن مسلمون، ونحن مؤمنون، وأهل سُنَّة، وغير ذلك.

هذا هو الأصلُ، أنَّهم معترفون بقلوبهم، وهذا يكفي، ولا تزيدوا، فالناس مساكين وجهلة وعوام، فلا تزيدوا عليهم، ويكفي أنهم يقرُّون بقلوبهم أن الله هو الخالق.

وهذه كانت كذبة الشيطان في قصة الغرانيق، وهي حادثةٌ وقعت للنبي ﷺ في مكة في بداية الدعوة، أنه حين أُوحيَتْ إليه سورة (النجم)، قرأها على جمعٍ من المسلمين والمشركين، فلما بلغ آخرَها حيث يقول الله تعالى: ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾ [النجم:59-62]، سجد النبي ﷺ، وسجد معه جميعُ مَن حضر من المسلمين والمشركين، إلا رجلين اثنين: أمية بن خلف، والمطلب بن وداعة.

حتَّى كبَّر في السجود حتى لا يستطيع أن يمرغ جبهته في الأرض، فأخذ كفًّا من الأرض، ووضعه عليه هكذا استكبارًا، وكذلك من الناس من الوجهاء الذين يظنون أنهم شيء، وهم لا شيء، يدَّعي أنه يصلي مثلًا، وبعد أن يُصلِّي، يضع يده كأنَّه يضعها على قذرٍ وضع جبهته عليه، وكأنه لا يلصقها بالأرض،

إنَّ هذا أشرف موضعٍ للعبد أنَّه يسجد بين يدي ربه †، وهذا أفضل موضعٍ أن تسجد لله † على الأرض، ولا يعرف هذه النعمة إلا مَن حُرِمَها؛ مثل كثيرٍ من المرضى عافانا الله وإياكم، فهو لا يستطيع أن يسجد، فيبكي ويقول: اشتقتُ إلى السجود لله † على الأرض، ولا أستطيع، فهو لا يستطيع أن يسجد على الأرض، فهذا موضعُ شرف وعزة، وهذا المستكبر لا يريد أن يسجد.

وفي «صحيح البخاري»، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ڤ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ».

وفي «الصحيحين»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ ڤ قَالَ: «أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ (وَالنَّجْمِ) قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ، إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ، فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ».

وجاءت بعضُ الروايات تُفسِّرُ سببَ سجود المشركين مع النبيِّ ﷺ، وسببَ استجابتهم لأمر الله تعالى، حاصلُها أن الشيطان ألْقَى في أثناء قراءته كلماتٍ على لسان النبي ﷺ فيها الثناء على آلهتهم، وإثبات الشفاعة لها عند الله، وهذه الكلمات هي: «تلك الغرانيق العُلَى، وإن شفاعتهن لترتجي»، وأن المشركين لما سمعوا ذلك، فرحوا واطمأنوا وسجدوا مع النبي ﷺ.

وجاء في «لسان العرب» أن «الغرانيق جمع غرنوق: وهو طير أبيض طويل العنق . قال ابن الأنباري: الغرانيق: الذكور من الطير، واحدها غِرْنَوْق وغِرْنَيْق، سُمِّي به لبياضه. وقيل: هو الكُرْكيُّ، وكانوا يزعمون أن الأصنام تُقرِّبهم من الله ۵، وتشفع لهم إليه، فشبهت بالطيور التي تعلو وترتفع في السماء». قالوا: فكانت هذه القصة سبب نزول قوله † في سورة (الحج): ﴿ڈ ڈ ژ

ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ﴾ [الحج:52].

وليس في القصة أي طعن في عصمة التبليغ والرسالة؛ لأنَّ النسخ والتصحيح جاء بوحيٍ من الله، وسواء كان ذلك ممَّا وقع في أمنيَّة النبي ﷺ في نفسه، أو كان ممَّا ألقاه الشيطان في أسماع المشركين، فإنَّ المآل واحد، وهو ثبوت الحق، وزهوق الباطل، والإخلال بمقتضى الرسالة لا يكون إلا باستمرار الباطل، واختلاطه بكلام الله تعالى، وذلك ما لم يكن ولن يكون.

فالواجب على كل مسلم أن يحذر ما يُلْقيه الشيطان من الشُّبه على ألسنة أهل الحق وغيرهم، وأن يلزم الحق الواضح الأدلة، وأن يُفسِّر المشتبه بالمحكم حتى لا تبقى عليه شبهة، كما قال الله سبحانه في أول سورة (آل عمران): ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ﴾ [آل عمران:7].

وثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ من حديث أُمِّنا عائشة ڤ أنه قال: **«إذا رأيتم الَّذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمَّى الله، فاحذروهم»**، متفق على صحته.

ففي «صحيح البخاري»، اكتفى $ بذكر قصة السجود فقط، سجد النبي، وسجد معه المشركون، أمَّا في غيره، فتجد أنه ذكر قصة الغرانيق، وسيأتي معنا تفصيل هذه القصة.

وهذه الآيةُ حاكمةٌ على مَنْ قال بصحة هذه القصة، ودليل على من قال بصحة هذه القصة ووقوعها.

إذًا، قصة الغرانيق الصحيح أنها ثابتة؛ لأنَّ الله † فسَّرها في آية سورة (الحج)، ولكن هذا كما قلنا: لا يقدح في الرسالة؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يقصد هذا، ولا يضرُّه نطق الشيطان بذلك على لسانه، وإيهام المشركين بذلك.

والشاهد من ذلك: أنَّه لا بد من المفاصلة بين الحق والباطل حتى لا يلتبس الحق بالباطل.

سؤال: هل ثبت أن المسلمين سمعوا هذه المقالة؟

الجواب: لا، لم يسمعوا هذه المقالة، إنَّما سمعها المشركون.

❀ ❀ ❀

الموضع الرابع

قصَّة أبي طالبٍ، فمَنْ فهمها فهمًا حسنًا، وتأمَّل إقراره بالتوحيد، وحثَّ الناس عليه، وتسفيه عقول المشركين، ومحبته لمَن أسلم وخلع الشرك، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلى أنْ مات، ثم صبر على المشقة العظيمة، والعداوة البالغة، لكن لم يدخل فيه، ولم يتبرَّأ من دينه الأول، لم يصر مسلمًا، مع أنه يعتذر عن ذلك بأنَّ فيه مسبة لأبيه عبد المطلب، ولهاشم وغيرهما من مشائخهم، ثم مع قرابته ونصرته، استغفر له رسول الله ﷺ، فأنزل الله عليه: ﴿ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ﴾ الآية [سورة التوبة آية: ١١٣]**، والذي يُبيِّن هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء يحب الدين ويحب المسلمين، ظنَّ أكثر الناس أنه مع المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيدٍ ولا مالٍ، ولا له من الأعذار مثل ما لأبي طالب، فمن فهم قصة أبي طالب، وفهم الواقع من أكثر من يدَّعي الدين، تبيَّن له الهدى من الضلال، وعرف سوء الأفهام، والله المستعان.**

الشرح

خلع الشرك، وبذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرته، انظر إلى كلِّ هذه المعانــي الكبيرة، ثم تُفاجَأ أنه من أهل النار**!!**

سؤال: ما عنوان لهذه المقطع؟

الجواب: (البراءة من الشرك شرط التوحيد)، و(الإذعان والانقياد).

إذًا، هذا الموضع يتبيَّن فيه أنه لا بدَّ من ثبوت عقد الإسلام، ومن الدخول فيه، والانقياد له، والذي وَقَع لأبي طالب أنه لم ينقد للإسلام، فهو أحبَّ الإسلام، ونصره، وأيَّده، وفرح بمَن دخل فيه، وفرح بمَن خلع الأنداد، وهذا جيد، ومع

ذلك هو لم يدخل فيه، ولم ينقد لذلك الدين كما جاء في حديث أُمِّنا عائشة ڤ عن بن جدعان تمدحه بما كان عنده من خصال الخير قال: «لم يقل يومًا: ربِّ اغفر لي»، فهذا كلُّه لم ينفع أبا طالبٍ، فلم يكن معه الإذعان والانقياد، كان عنده تصديقٌ، ونصرةٌ، وحبٌّ، وفرحٌ، ولكن لم يكن عنده الانقياد، ولم يَنْقد لله †، ولم يقل: سمعنا وأطعنا، ولم يقل: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

إذًا، تخلَّف عن أبي طالب الانقياد، فلم ينقد لشرع الله †، ولم يؤمن بما جاء عن الله جملة وعلى الغيب †!!

وهذا خطير جدًّا، فعندما ترى الآن الناس يفرحون، وتجد هذا ينفق ويجاهد، ويحبُّ المجاهدين، وغير ذلك، ولكنه ليس معهم، فالناس تغترُّ به، فكما تذكرون الرجل الذي كان يقاتل مع النبي ﷺ، وكان المسلمون يفرحون به، ثم قال ﷺ: **«هو في النار»**، وهذا مثل هذا تمامًا.

وهذا الموضع يُوضِّح أن الإسلام لا ينفع فيه مجرد التصديق بالقلب، فليس الإيمان هو التصديق القلبي فقط، بل لابد من الانقياد بالعمل والقبول والطاعة والنصرة والتأييد، فإن لم يحصل هذا، فليس بمسلم أصلًا، كما حدث لأبي طالب تمامًا، عرف صدق الرَّسول ﷺ, وعَلِمَ صدق رسالته، ولم يكذبه، ولم يبغضه، ولم يبغض رسالته، بل أحبها، وحثَّ الناس على الدخول فيها، وفرح بدخولهم في الإسلام، وأحبَّ من يدخل في التوحيد، وخلع الكفر والتنديد, وليس هذا فقط، بل نصر رسول الله، ونصر دعوته بماله وأولاده وعشيرته، وصبر مع رسول الله ﷺ على عداوة قومه وظلم عشيرته، كل ذلك لكنه لم يدخل في الإسلام، ولم يتلفَّظ بالشهادتين، ولم يترك دين قومه خوفَ المسبَّة، وأن يُعيِّره قومه بأنه تَرك دين الآباء والأجداد، يعني: جاء بالصدق والمناصرة والمحبة لمَن دخل في هذا الدين، وبذل نفسه وأولاده، ومع كل ذلك فهو في النار؛ لأنَّه لم يقل يومًا: «ربِّ

اغفر لي»، ولمَّا استغفر له رسول الله ﷺ، أنزل الله تعالى النهي عن الدعاء والاستغفار لمَنْ مات على الكفر والشرك.

ولا يجوز الدُّعاء للكافر بالرحمة والمغفرة من بعد ما تبيَّن له أنه مات على الكفر، ومات على دينٍ غير دين الإسلام؛ كالذي يموت يهوديًّا أو نصرانيًّا، فهو في النار، والجنة عليه حرام، ولا يجوز أن نتوقف فيه، أو ندعو له، أو نستغفر له.

وليس معنى أن الرجل يحب الدين ويحب الإسلام؛ لأنه يرى فيه تحقيق مصالحه ورغباته، أو طريقًا لشهواته **«امرأة ينكحها، أو دنيا يصيبها»**، ولكنه لم يرضَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا، فلا ينفعه تصديقه ومحبته؛ إذ لابدَّ من الإذعان والقبول والانقياد بالعمل والطاعة إخلاصًا ومتابعةً.

هذا أصلٌ في ثبوت عقد الإسلام، والاستمرار عليه: الإذعان والقبول والانقياد بالعمل والطاعة، ليس من باب العشيرة، ومن باب القبيلة، إنَّما هو إخلاص ومتابعة.

❀ ❀ ❀

الموضع الخامس

قصة الهجرة، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر مَنْ قرأها، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها، وهي: أنَّ من أصحاب رسول الله ﷺ مَن لم يهاجر من غير شكٍّ في الدين، وفي تزيين دين المشركين، ولكن محبَّة الأهل والمال والوطن(ولكن محبة الأهل والمال والوطن، يعني: هو لم يشكَّ في هذا الدين، ولم يُزيِّن دين المشركين، ولم يشكَّ في دين الله) ، **فلمَّا خرجوا إلى بدرٍ، خرجوا مع المشركين كارهين، فقتل بعضهم بالرمي، والرامي لا يعرفه، فلمَّا سمع الصحابة من القتلى فلان وفلان، شقَّ عليهم، وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله: ﴿ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﮪ ﮪ ۇ ۇ ۆ ۆ﴾** [سورة النساء آية:٩٧-٩٩]، **فمن تأمَّل قصتهم، وتأمل قول الصحابة: قتلنا إخواننا؛ لأنه لم يبلغهم عنهم كلام في الدين، أو كلام في تزيين دين المشركين، ولو بلغهم شيء من ذلك، لم يقولوا: قتلنا إخواننا؛ فإن الله قد بيَّن لهم وهم بمكة قبل الهجرة أن ذلك كفرٌ بعد الإيمان بقوله تعالى: ﴿ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ﴾** [سورة النحل آية: ١٠٦]، **وأبلغُ من هذا: ما تقدَّم من كلام الله فيهم، فإنَّ الملائكة تقول: ﴿ڎ ڈ﴾،(** **وفيم كنتم** كتابٌ جيدٌ جدًّا في هذه المسألة للشيخ محمد بن عبد الهادي المصري، اسمه: «فيم كنتم»، وكل كتابات الشيخ محمد بن عبد الهادي المصري كتابات جيدة جدًّا.)

ولم يقولوا: كيف تصديقكم؟ ﴿ژ ژ ڑ ڑ ک ک﴾ [سورة النساء آية: ٩٧]، **ولم يقولوا: كذبتم، مثل ما يقول الله والملائكة للمجاهد الذي يقول: جاهدت في سبيلك حتى قتلت، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل قاتلتَ ليقال جريء، وكذلك يقولون للعالم والمتصدِّق: كذبت، بل تعلمت ليقال: عالم،**

وتصدقت ليقال: جواد، وأما هؤلاء، فلم يُكذِّبوهم، بل أجابوهم بقولهم: ﴿ک گ گ گ گ گ گ گ﴾ [سورة النساء آية: ٩٧]، ويزيد ذلك إيضاحًا للعارف والجاهل: الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ﴾ [سورة النساء آية: ٩٨].

فهذا أوضح واضح جدًّا، أن هؤلاء خرجوا من الوعيد، فلم يبق شبهة، لكن لمَن طلب العلم، بخلاف مَن لم يطلبه، بل قال الله فيهم: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ﴾ [سورة البقرة آية: ١٨]، ومَنْ فهم هذا الموضع والذي قبله، فهم كلام الحسن البصري، قال: «ليس الإيمان بالتحلِّي، ولا بالتمنِّي، ولكن ما وَقَر في القلوب، وصدَّقته الأعمال، وذلك أن الله يقول: ﴿ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې﴾ [سورة فاطر آية: ١٠]».

الشرح

عنوان القطعة: (الحكم بالظاهر)، و(الهجرة من بلاد المشركين)، و(وجوب مفارقة أهل الباطل لأن الحكم بالظاهر).

فابن عباس ۏ لم ينفعه العباس؛ لأنه خرج مع المشركين، وبعد ذلك لمَّا أسروه قال: أنا مسلم. قالوا: وما أدرانا؟! لم ترسل لنا! ولم تُخبرنا! فاحمد الله † على أنهم لم يقتلوك، قال: كيف تفدونني؟ قال له النبي ﷺ: **«يا عباس، افدِ نفسَك، إنْ يَعْلم الله أن في قلبك خيرًا وأنت على الإسلام، يعوضك الله خيرًا»،** فأنزل الله فيه آيةً.

فهذا هو الموضع الخامس، وموضوعه - وهو مسألة الهجرة - مُرْتبطٌ بالموضع الذي قبله في وجوب اجتناب الشرك والبدع.

وهذا هو الموضع السادس، ويُفسِّر هذا الموضع (السادس) كلَّ المواضع الخمسة الماضية؛ لأنه يجمع أصل الإيمان، وأصل الدين، وأصل الكُفر،

فالموضع الخامس هذا يُبنَى على السابق، أما السادس فهو يُبيِّن الموضع الخامس بجلاءٍ.

هذا الموضع الخامس، وموضوعه المهمُّ هو مسألة الهجرة، وهو مرتبطٌ بالموضع الذي قبله في وجوب اجتناب أهل الشرك والبدع والضلال والأهواء.

وفيه وجوب الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، ومن بلد الطاعة إلى بلد المعصية، فلابدَّ من مفارقة بلاد المشركين إلا من كان في بلده مظلومًا مقهورًا مطاردًا من الطواغيت الذين يحاربون أهل السنة والتوحيد والدعوة، فحينئذٍ يجب عليه الهجرة من البلد الذي لا يأمن فيها على دينه وماله وعرضه - وإن كان بلدًا ينتسب إلى الإسلام - إلى بلدٍ يأمن فيها على دينه وعرضه وماله، وإن كانت بلاد كفر، كلُّ ذلك تحقيقًا للمفاصلة بين الإيمان والكفر والتوحيد والشرك، فلابدَّ من الاجتناب أن تكون في جانبٍ، والباطل في جانب حتى لا يختلط الحق بالباطل.

وفي هذه القصة الَّتي ساقها المؤلف $ أكبر دليلٍ على اجتناب الباطل وأهله، فقد ذكر المُفسِّرون وأصحاب السير أن بعضًا ممَّن أسلم في مكة، وحَسُنَ إسلامه لما جاء الأمر بالهجرة من مكة إلى المدينة، كان يجب عليهم امتثال الأمر، والانقياد لأمر الله ورسوله، والهجرة مع إخوانهم، ولا سيما أنَّهم يستطيعون الهجرة بأيِّ حيلةٍ أو طريقٍ يجدونها، لكنَّهم سوَّفوا وركنوا إلى محبَّة الزوجة والأبناء والوطن، وجاءت غزوة بدرٍ، فحصل ما هو نتيجة لتخلُّفهم عن الهجرة، وهو خروجهم مع الكفار ليقاتلوا المسلمين، ولم يُعْلنوا إسلامهم، ولم يجاهروا بإيمانهم، ولن يستطيعوا التخلُّف عن قومهم في الخروج، كلُّ ذلك حصل بسبب معصيتهم وتخلُّفهم عن أمر الله، والله يعلم ما في قلوبهم من الإسلام والإيمان، لكن أحكام الدنيا تجري على الظاهر من إسلامٍ وكفرٍ, فكل

مَنْ أظهر لنا الإسلام، حَكَمنا بإسلامه، وقلنا: إنَّه مسلم, ومَنْ أظهر لنا الكفر والشرك، حَكَمنا بكفره وقلنا: إنه مشرك.

فخرجوا مع قومهم مكرهين من مكة إلى قتال إخوانهم في معركة بدرٍ، وترامى الفريقان بالنبال، فقتل بعضهم بعضًا، والرامي لا يعرفه, فلما عرف الصحابة أنهم قتلوا إخوانهم الذين يعرفون أنهم على الإسلام في مكة، ولكنهم لم يهاجروا, حزنوا حزنًا شديدًا وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله هذه الآيات يُوبِّخهم على عدم هجرتهم، وعلى إقامتهم في أرضٍ لا يأمنون فيها على دينهم وأموالهم وأعراضهم, قالوا: فيم كنتم؟ أي: ما الذي منعكم من الهجرة مع إخوانكم؟ ما الذي أقعدكم مع الكفار في بلد الكفر والظلم؟ لماذا لم تهاجروا؟ قالوا: كنَّا مستضعفين عند هؤلاء الكفار، لا نستطيع الهجرة, قالت الملائكة: لقد كانت أرض الله تعالى واسعةً، فلماذا لم تهاجروا إلى تلك الأرض الواسعة، حيث العزة، وحيث الجهاد، وحيث يكثر سواد المسلمين، ويعتز أهل الإيمان، ويكون المؤمنون بعضهم لبعضٍ، ويكونون في الجهاد كالبنيان المرصوص المتماسك، كما قال النبي ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشدُّ بعضه بعضًا»**، لم يستثنِ الله إلا المستضعف الذي بذل جهده، واستفرغ وسعه في الهجرة، ولكنه لم يفلح، والنساء والولدان قد عَذَرهم الله، ولكن لمَّا وقع بعضهم في أَسْر المسلمين، قال لهم: إنه مسلم، ولكنه كان مستضعفًا، لم يقبلوا قوله، وحكموا عليه بالظاهر، أنه خرج مع الكفار ضد المسلمين، وبين القتل والفكاك فدية، فدفع الفدية، وأوكل رسول الله ﷺ باطنه إلى الله بعد أن عَامَله بالظاهر، وقال له رسول الله: **«إنْ كنتَ صادقًا، فسيُعوِّضك الله خيرًا مما أخذ منك»**.

وهذا فيه دليلٌ على أن العجز مسقطٌ للتكليف بشرط اطمئنان القلب بالأيمان.

وليس في ذلك شبهةٌ، فالأمر واضح لكل طالب علم، لكن مَنْ أعرض عن العلم مع قدرته، فلا عذر له؛ لذلك قال الحسن البصري وغيره: إنَّ الايمان ليس

كلامًا فقط كما تقول المرجئة، ولكن إيمان في القلب، ونطق باللسان يصدقه عملٌ ظاهر بالجوارح والأركان، ليست أمنيات ونوايا خاوية لا أصل لها من عمل القلب وعمل الجوارح.

فالإيمان ليس بالتمنِّي، ولكن بالعمل الشاق والبذل والعطاء والجهاد والإعداد، فمَن تخلَّف عن العمل الواجب من غير عذرٍ، فقد عرَّض نفسه لعذاب الله وعقابه.

يعني: أنتَ تريد الجنة، ولا تعمل لها أعمالًا، أنت تريد أن تقيم شرع الله، ولا تعمل لذلك أعمالًا، وأنت تريد أن تُقيم دولة الإسلام، وتحكيم الشريعة، وأنت لا تريد أن تكون لبنةً في بناء هذه الدولة، كيف؟ أنت تتمنَّى ولا تعمل لما تتمنى له، فهذا عجزٌ.

سؤال: هل هناك دليلٌ على أنهم كفروا الذين خرجوا ضدَّ المُسْلمين؟

الجواب: هذا الَّذي اختلف فيه الصحابة ڤ، قال بعضهم: إنَّهم كفروا؛ لأنهم لم يخرجوا، ودرسناها في مُقدمة التوحيد. وقال بعضهم: هم إخواننا، لم نعلم عنهم إلا خيرًا، فأنزل الله † إليهم: كيف تختصمون في هؤلاء، والله قد بيَّن لهم الوضع، وبيَّن لهم أن هناك فئةً عفا الله عنها، وفئة كافرة؛ لأنها ارتدَّت ولم تهاجر حتى بعد الهجرة، بل ماتوا في الطريق، فالذين ماتوا، قد ماتوا على الحكم الظاهر أنهم تحت مظلَّة الكُفر؛ لذلك هذا دليلٌ في أنَّ مَنْ مات في جبهةٍ ومظلته يُحْكم بالدنيا على ما مات عليه؛ كالذي يقاتل - مثلًا - في جيش الروس مثلًا وهو مُسلمٌ، يُبعث على أنه كافرٌ في الدنيا، وكالذي يُقاتل - مثلًا - في أوكرانيا ضد الروس، أو مع الروس ضد أوكرانيا، يُبعَثون على نيَّاتهم، ولكن

في حكم الظاهر أنهم كفروا.

❀ ❀ ❀

الموضع السادس

قصة الرِّدة بعد موته ﷺ، فمَن سمعها ثمَّ بقي في قلبه مثقال ذرَّة من شبهة الشياطين - الذين يسمون العلماء - وهي قولهم: هذا هو الشِّرك، لكن يقولون: لا إله إلا الله، ومَنْ قالها لا يكفر بشيءٍ.

الشرح

الردَّة هي الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام، وتكون الردة بنواقض الإسلام القولية؛ كقول الكفر، وسب الدين ورب العالمين، والاستهزاء بالله ورسوله والمؤمنين وشعائر المسلمين، وتكون بالعمل المكفر؛ مثل: دعاء الأموات، والطلب منهم، والنذر لهم، والذبح لهم، والطواف بقبورهم، والاستغاثة بهم، والسجود على عَتَباتهم المقدسة عندهم.

وتكون الرِّدة بالاعتقاد المكفر كذلك؛ مثل: اعتقاد أنَّ الله معه شريك يُدبِّر الملك معه، أو له ولد، أو له زوجة، أو أن الملائكة بناته ٥، أو اعتقاد أن هناك دينًا مقبولًا غير الإسلام، أو اعتقاد أن الكفار واليهود والنصارى على دينٍ صحيحٍ، وأنهم ليسوا كفارًا، أو اعتقاد أن الأموات في قبورهم يستجيبون لمَنْ طلب منهم ودعاهم، أو اعتقاد أنَّ رسول الله ليس خاتم الأنبياء والمرسلين، أو أنه غير معصومٍ فيما يُبلِّغه عن ربّه، أو أن رسالته ليست آخر الرسالات، وأنه ليس خاتم الأنبياء والمرسلين، أو يعتقد أن هناك بشرًا هديه خير من هدي النبي ﷺ.

فالردة والكفر الأكبر يكون بالقول المكفر، والاعتقاد المكفر، والقول المكفر، كما ذكرنا في الأمثلة.

والشيخ المؤلف $ يُبيِّن هنا أن علماء السوء من المرجئة والقبورية وهم شياطين يقولون: نعم، كل هذا شركٌ وكفرٌ نعلمه ونقرُّ أنه كفرٌ وشركٌ أكبر، لكن من يفعله يقول: (لا إله إلا الله)، فماذا نفعل بلا إله إلا الله وهي ماحيةٌ للكفر والشرك، فمَنْ قال: لا إله إلا الله، ووقع في الكفر والشرك، لا يكفر؛ لأنَّ لا إله إلا الله تعصمه من الكفر والشرك مهما كان هذا الشرك، فهو مسلمٌ بلا إله إلا الله.

فَسَاقَ لهم المؤلف $ قصة المرتدين زمن أبي بكر الصِّديق والصحابة ڤ ليردَّ عليهم، ويبين لهم أن لا إله إلا الله لا تنفع مع الشرك والكفر الأكبر، وأن الصحابة كفروا المرتدين وهم يقولون: لا إله إلا الله، ويصلون ويقرؤون القرآن ويصومون، ولم تنفعهم كل هذه الطاعات؛ لأنهم ارتدوا بمنعهم الزكاة، وقتالهم عليها، فقاتلهم الصحابة كلهم وهم يقولون لا إله إلا الله!

❁ ❁ ❁

وأعظم من ذلك وأكبر: تصريحهم بأنَّ البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة، ولكن يقولون: لا إله إلا الله، وهم بهذه اللفظة إسلام، وحرَّم الإسلام مالهم ودمهم، مع إقرارهم أنهم تركوا الإسلام كله، ومع علمهم بإنكارهم البعث، واستهزائهم بمَنْ أقرَّ به، واستهزائهم بالشرائع، وتفضيلهم دين آبائهم مخالفًا لدين النبي ﷺ.

الشرح

والشيخ $ يردُّ ويتعجَّب من قول علماء ودعاة المشركين الذين أدخلوا شبهات المرجئة، فيقرُّون أنَّ البدو ليس معهم إسلام صحيح، ولا يأتون من أعمال الإسلام إلا بالتلفُّظ بالشهادتين، فهم بقول لا إله إلا الله مسلمون، يَحْرم دمهم ومالهم! ومع إقرار هؤلاء العلماء أن البوادي تركوا الإسلام كله، فقد

كفروا بتركوا العمل الظاهر من أركان الإسلام (الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج)، وكفروا بالاعتقاد المكفِّر بإنكارهم البعث، وأن مَنْ مات لا يبعث بعد موته، فمن كَذَّب بالبَعْثِ فهو كافِرٌ

سؤال: ما الدليل على أن إنكار البعث كفرٌ؟

الجواب: قول الله † في الآيات التي ستأتـي:

؛ لقَولِه تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ﴾ [الأنعام:29، 30].

وقال تعالى: ﴿ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ﴾ [المطفِّفين:10-17].

وقال تعالى: ﴿ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ى ى﴾ [الفرقان:11].

وقال تعالى: ﴿ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی □ □ □ □ □ □﴾ [العنكبوت:23].

وقال اللهُ تعالى: ﴿ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ﴾ [التغابن:7]، وقد اتَّفَقت جميعُ الكُتُب السَّماويَّةِ عليه.

يعني: على البعث، ومع ذلك هم يُنكرونه، والأعجب من ذلك أن عُلماء المرجئة يقرُّون أن هؤلاء كفروا وتركوا الإسلام، وليس لهم من الإسلام إلا التلفُّظ بـ (لا إله إلا الله)، فليس معهم من الدين إلا (لا إله إلا الله).

كفروا بالاستهزاء بالمؤمنين الذين يقرُّون بالبعث؛ لأنه من شعائر الله ودينه.

كفروا من باب الاستهزاء بالشرائع؛ لأنَّ الاستهزاء بالله والرسول كفرٌ أكبر مخرجٌ من الملة، لا ينفع معه قول لا إله إلا الله، وقد كفَّرهم الله †، فقال: ﴿ڦ ڦ ڄ

ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﴾ [التوبة:64-66].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ﴾ [الجاثية:9]، ولم يَجِئْ إعدادُ العذابِ المُهينِ في القُرآنِ إلَّا في حَقِّ الكُفَّارِ.

وقَالَ اللهُ ۵: ﴿ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ [الجاثية:34، 35]. إذًا، الاستهزاء بالدين أو بشعائره كفرٌ أكبر مخرجٌ من الملة، والدليلُ قول الله †:

﴿ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾ [التوبة:64-66].

يعني: العذاب المهين لا يأتـي في القرآن إلا في حق الكافر.

وكذلك كفروا من باب تفضيل دين وطريقة قبيلتهم وآبائهم على دين الرسول ﷺ، العصبيَّة الجاهلية تُفضِّل القبيلة والأسرة على دين الله †.

فهذه خمسة أبواب مكفرة، كَفر بها البوادي بإقرار علماء السوء بذلك، ومع هذا كله يُصرِّح هؤلاء الشياطين المَرَدة الجهلة أنَّ البدو أهل إسلام، ولو جرى منهم ذلك كله؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله أيضًا.

❀ ❀ ❀

ولازمُ قولهم: أنَّ اليهود أهل إسلام؛ لأنهم يقولونها، وأيضًا كُفْر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة، أعني: البوادي المتَّصفين بما ذكرنا.

الشرح

مع هذه الكفريات الصريحة الواضحة، والتي يقرُّ بها علماء السوء، هؤلاء الشياطين المردة الجهلة بأحكام الإسلام وعقيدة أهل السنة والجماعة من أن الإيمان يكون بالاعتقاد والقول والعمل، والكفر كذلك يكون بالاعتقاد المكفر، والقول المكفر، والعمل المكفر، فلا تنفع لا إله إلا الله مع الكفر والشرك الأكبر؛ لأنَّ الله لا يغفر أن يشرك به, وأنه مَنْ يشرك بالله فقد حبط عمله, لكن هؤلاء علماء السوء والضلالة يقولون: إنَّ البدو مسلمون مع ما وَقَع منهم من نواقض مكفرة، فلا يُحكَم بكفرهم، لماذا؟ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله، فهم مسلمون بقول لا إله إلا الله، ولا يكفرون أبدًا، ولا يخرجون من الإسلام مهما عملوا من كفرٍ وشركٍ؛ لأنَّ قولهم لا إله إلا الله مانعٌ من تكفيرهم**!!**

ولازم قول هؤلاء الجَهلة علماء المشركين الجهمية الذين يحصرون الإيمان بالنطق بلا إله إلا الله، ويُقيِّدون الكفر بالامتناع عن قول لا إله إلا الله, لازم قولهم أن اليهود مسلمون؛ لأن اليهود يقولون: لا إله إلا الله، ويقولون: محمد رسول الله للعرب وليس لنا، فعلى كلام علماء مرجئة الجهمية أن اليهود من أهل الإسلام، وكذلك النصارى يقولون: لا إله إلا الله، لكن عيسى ابن الله أو هو الله.

وكذلك فرعون وإبليس من أهل الإسلام؛ لأنهما يقولان: لا إله إلا الله**!!** مع أنَّ اليهود أقل كفرًا من كُفر البوادي الذين ذكروا بأوصافهم، هذه أشد كفرًا من كفر اليهود بكثيرٍ.

❀ ❀ ❀

أنواع المرتدين

الكفار أنواع وأحوال مع لا إله إلا الله قبولًا وردًّا.

الأول: الكافر المشرك؛ ككفار قريش، تُقبَل منهم لا إله إلا الله ابتداءً، ويكف عنهم، وعلى ذلك يُحمَل حديث أسامة ڤ.

الثانـي: الكافر الأصلي من أهل الكتاب يهودي أو نصرانـي لا تُقبَل منه لا إله إلا الله إلا إذا أقر بأن محمدًا رسول الله للإنس والجن والعرب والعجم، فهو رسولٌ إليه، ويؤمن ويعتقد أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وليس بإلهٍ أو ابن إلهٍ كما يقول النصارى عُبَّاد الصليب.

فلو قال الكتابيُّ: لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله وهو يعتقد أنه رسولٌ للعرب فقط، وليس رسولًا إليه، فلن تُقبَل منه لا إله إلا الله، وإن قال: لا إله إلا الله وهو يعتقد أن عيسى إله أو ابن إله، فلن تقبل منه لا إله إلا الله ولو قالها ألف مرة.

الثالث: الكافر المرتد الذي دَخَل في الإسلام، وخرج منه بناقضٍ، فهذا لايقبل منه إلا إذا دخل من الباب الذي خرج منه؛ مثل الأحوال التي ذكرها المصنف $، والذي يُبيِّن ذلك من قصة الردة أن المرتدين افترقوا في ردَّتهم:

❁ ❁ ❁

1-فمنهم من كذَّب النبي ﷺ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان، وقالوا: لو كان نبيًّا ما مات؛ وهذا لا خلاف في كفره، فردَّته واضحةٌ صريحةٌ؛ لأنه رجع إلى عبادة الأصنام.

يعني: هذا الاختلاف الذي رجع إلى الكفر وعبادة الأوثان- لا خلاف في كُفره.

2-ومنهم مَنْ ثبت على الشهادتين، ولكن أقرَّ بنبوة مسيلمة، ظنًّا أن النبي ﷺ أشركه في النبوة؛ لأنَّ مسيلمة أقام شهود زورٍ شهدوا له بذلك،

فصدقهم كثيرٌ من الناس، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدُّون ولو جهلوا ذلك، ومن شكَّ في ردَّتهم فهو كافرٌ، فإذا عرفت أنَّ العلماء أجمعوا أن الذين كذبوا النبي ﷺ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان، وشتموا رسول الله ﷺ، ومن ادَّعى النبوة.

3-ومنهم مَن أقر بنبوة مسيلمة في حال واحد، ولو ثبت على الإسلام كله.

فهذا أقرَّ بالإسلام كله بأركانه وواجباته، بل وجاء بأركان الإيمان من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، إلا أنه أشرك مسيلمة الكذاب مع النبي ﷺ في النبوة

هذا يرجع إلى المواضع الخمسة التي مضت، ومنها: التثبُّت ممَّا أنت عليه، هل أنت مُتثبِّت أنْ لا نبيَّ بعد محمد ﷺ؟ هل أنت مُتثبتٌ أنه لا نبيَّ ولا رسول مع محمد ﷺ؟ هل أنت مُتثبِّتٌ أو عندك شك؟ فالَّذين شكُّوا في ذلك ما كذبوا الرسول ﷺ، بل صدَّقوا مُسيلمة في ادِّعائه أنه نبيٌّ مع محمد مع أنَّهم أتوا بجميع أركان الإسلام والإيمان، ولم يخرج منها في شيءٍ، ولكن قالوا: مُسيلمة نبيٌّ مع النَّبيِّ ﷺ، ونحن نؤمن بالنَّبيِّ ﷺ، وهذا خطيرٌ؛ لأنهم شكُّوا فقط، مع أنَّهم ما قالوا ذلك إلا لشهود زورٍ أتى بهم مُسَيلمة، يعني رُبَّما يعتذر بها مُعتذِرٌ ما يعرفه، نقول: لا، ما يعرفه؛ لأنهم شكوا في الأصل، هذا ليس أمرًا فقهيًّا، وليس أمرًا بالشريعة، هذا أصل الإسلام (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، فكيف يشكُّ فيه؟ ومع ذلك أجمع العلماء على كُفْر مَنْ لم يُكفِّرهم.

وقال: محمد نبيٌّ، ومسيلمة نبيٌّ، فقط هذا الذي جاء به مع قوله بالإسلام والإيمان، وتلفُّظه بالشهادتين ليل نهار، ولكن لمجرَّد اعتقاده أنَّ مسيلمة نبي

كفر، وأجمع الصحابة على كفره وردَّته، وخروجه من الإسلام.

كذلك من ادَّعى النُّبوة الآن، فهو كافرٌ، ومَن صدَّقه فهو كافرٌ، وكذلك من ادَّعى أنه ينزل عليه الوحي جبريل في زماننا هذا, والذي يدَّعي أنه المهدي، أو ادَّعى النُّبوة، فهذه عُقولٌ خربةٌ، ومَن يدَّعي أنه ينزل عليه جبريل بالوحي فهو كافرٌ، ومن يُصدِّقه فيما يدَّعيه فهو كافرٌ مثله، لم يؤمن بمُحمَّدٍ رسول الله ﷺ، وانتبه لهذا جيدًا؛ لأنَّ هذه بعض الأمور ينزلها بعض المرجئة في باب الشريعة والحرام والحلال، ويجوز والمكروه والمستحب، فهل هذا دين؟ وهل هذا أصل (لا إله إلا الله)؟

❁ ❁ ❁

4-ومنهم مَن أقرَّ بالشهادتين، وصدق طليحة في دعواه النُّبوة.

وكذلك الحال مع مَنْ صدق طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي في ادِّعائه النبوة، صاحب رسول الله ﷺ الذي تنبَّأ، ثم تاب وحسن إسلامه، واستشهد في معركة نهاوند، وفتح فارس مع النعمان بن مقرن ﭬ مع قوله لا إله إلا الله، فهو نقض شهادة أن محمدًا رسول الله.

5-ومنهم مَنْ صدق العنسي صاحب صنعاء، وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم مرتدُّون.

أي: الذين صدقوا الكَذَبة مدعي النبوة؛ كمسيلمة والعنسي وطليحة وغيرهم، فادِّعاء النبوة كفرٌ، وَلَا أحَدَ أعظَمُ ظُلْمًا، ولَا أكبَرُ جُرمًا، ممَّن كَذَب على اللهِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ﴾ [الأنعام:93].

هو أتى بجميع أركان الإيمان، وجميع أركان الإسلام، بشرائعه الظاهرة والباطنة، ولكن فقط صدَّق أن مُسيلمة أو من يدَّعي أنه نبيٌّ فقط، ولم يُنكِرْ نبوَّة النَّبيِّ ﷺ, تخيل هذا! يقولون: (لا إله إلا الله)، وأتوا بشرائع الإسلام وأركان الإيمان، ولكنهم قالوا: إنَّ مُسيلمة نبيٌّ مع محمد ﷺ، ومشاركٌ في ذلك فقط, فما بالُك بالذين يقولون: لا إله إلا الله، ولم يأتوا بالإسلام إلا بهذا اللفظ، وهذا أكفرُ منهم.

قال صاحب «القول المفيد» $: «ويدخُلُ في هذه الآيةِ كُلُّ من ادَّعى النُّبُوَّةَ، كمُسَيلِمةَ الكَذَّابِ، والأسوَدِ العَنْسيِّ وسجاح والمختار الثقفي وغيرهم، وقد صحَّ عند الترمذي وأبي داود وابن ماجة وابن حبان عن ثَوبانَ ۵ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«وإنَّه سيكونُ في أُمَّتي كَذَّابون ثَلاثُونَ، كُلُّهم يَزعُمُ أنَّه نبيٌّ، وأنَا خاتَمُ النَّبيِّينَ، لَا نبيَّ بَعْدِي»**، فحَصرَهم النَّبيُّ ﷺ بعَدَدٍ، وكُلُّهم يزعُمُ أنَّه نبيٌّ أُوحِيَ إليه، وهم كذَّابون؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ خاتَمُ النَّبيِّين، ولا نبيَّ بَعْدَه، فمَنْ زعم أنَّه نبيٌّ بعد الرَّسولِ ﷺ، فهو كَاذِبٌ كافِرٌ حلالُ الدَّمِ والمالِ، ومن صَدَّقه في ذلك، فهو كافِرٌ حلالُ الدَّمِ والمالِ، وليس من المُسلِمينَ، ولا من أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ومَنْ زعم أنَّه أفضَلُ مِن مُحَمَّدٍ، وأنَّه يتلقَّى من اللهِ مُباشرةً، ومُحَمَّدٌ ﷺ يتلقَّى منه بواسطةِ المَلَكِ؛ فهو كاذِبٌ كافِرٌ حلالُ الدَّمِ والمالِ»، فادِّعاءُ النُّبُوَّةِ كَذِبًا وزُورًا من أشنَعِ الكَذِبِ وأقبَحِه.

قال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح»: «مَن ادَّعى النُّبُوَّةَ وهو كاذِبٌ، فهو من أكفَرِ الكُفَّارِ، وأظلَمِ الظَّالِمين».

وهذه من مفاسد غياب الشريعة، وهي أن يتجرَّأ الفَسَقة والفجَّار على دين

الله †، وتخيَّل لو كانت شريعة الله مطبقةً، ثم قام رجلٌ من المسلمين وادَّعى أنه نبيٌّ، فما حُكْم الشرع فيه؟ يُقتَل وتُضرَب هذه الفتنة، وينتهي الأمر، وهؤلاء الحكام لمَّا نحوا شريعة الله، جرَّأوا الفَسَقة والعُتاة والمجانين على التطاول على شرعية رب العالمين، وتركوهم يَعِيثُون في الأرض فسادًا؛ لذلك لابدَّ أن نُرتِّب الأعداء على أولويَّات، فأول عدوٍ لنا - أهل الإسلام - هو حُكَّامنا الذين مَحَوا شرع الله، وحاربوا دين الله، ثم بعد الحكام الشِّيعة الرَّوافض، بالترتيب هكذا، ثم بعد ذلك يأتي اليهود والنصارى وغيرهم، أمَّا إذا قَضَينا على العدو الأول، دان لنا بالمناجزة والحرب، وباقي الأعداء أمرُهُم هيِّن، أمَّا العقبة الكئود فَهُمُ الحكام الذين يقفون صخرةً في تطبيق شرع الله †.

❀ ❀ ❀

6-ومنهم أنواعٌ أُخَر (منهم: الفجاءة السلمي لمَّا وفد على أبي بكر، وذكر له أنه يريد قتال المرتدين، ويطلب من أبي بكر أن يمدَّه، فأعطاه سلاحًا ورواحل، فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم، فجهَّز أبو بكر جيشًا لقتاله، فلما أحسَّ بالجيش، قال لأميرهم: أنت أمير أبي بكر، وأنا أميره، ولم أكفر، فقال: إنْ كنت صادقًا، فألقِ السلاح، فألقاه، فبعث به إلى أبي بكر، فأمر بتحريقه بالنار وهو حيٌّ.

وهذا لم يأتِ أبدًا بناقضٍ، فقد أتى بالإسلام وأركان الإيمان، ولم يكفر, فلماذا كُفِّر وحُرِّق بالنار حيًّا؟! والجواب: أنه استحلَّ قَتْل المسلمين ودماءهم وأموالهم، فاستحلالُ قَتْل المسلمين كفرٌ؛ لذلك كُفْره هذا يدلُّك على كفر الاعتقاد، ثم حرَّقه وهو حيٌّ، ثم قامت قيامة المرجئة والمرجفين عندما يُحرِّق - مثلًا - أهل التوحيد الكفار المعتدين يقولون: أنتم تحرقون بالنار، وهذا مخالفٌ

للشريعة!! نقول: إذا ثَبتَ التحريق، بطل التعليق، أي: إذا ثَبتَ التحريق عن النَّبيِّ ﷺ، وعن الصحابة ڤ، بطل الكلام والتعليق بعد كلام النبي ﷺ، فهل ثَبتَ عن النبيِّ ﷺ أنه حرَّق بالنار؟ نعم، ثبت في حديث العرنيين أنه حرَّق بالنار.

وهل ثَبتَ عن خليفة رسول الله ﷺ أنه حرق بالنار؟ نعم، ثبت أنه حرَّق الفجأة لمَّا استحلَّ، وكفر، وقتل المسلمين، واستحلَّ دماءهم وأموالهم، وهل ثبت التحريق عن عليٍّ ڤ؟ نعم، ثبت أنه حرَّق ما يدَّعون فيه الإلهية، حرَّقهم بالنار، وهذا في «صحيح البخاري» وإنِ اعترض عليه ابن عباس، فعليٌّ أفقه من ابن عباس ڤ أجمعين.

وهل ثَبتَ فيما بعد في آخر عهد الصَّحابة سنة 37 هجريًّا أنَّهم حرَّقوا في بيتٍ واحدٍ سبعين من الناس؟ إذا ثبت التحريق، بطل الكلام والتعليق، فلا تجعلوا اليهود يحرقون المسلمين، وتتفحَّم الجثث والأعضاء، ولا يتكلم أحدٌ، والعالم كلُّه يرى، ويرى احتراق هذه الجثث وتفحُّمها؛ أطفالًا وشيوخًا ونساءً وشبابًا، ولا أحد يتكلم، أمَّا إذا جاء الأمرُ من المسلمين أهل التوحيد والسنة، قامت القيامة.

إذًا، إنْ كنتم تَعِيبُونَ على مَنْ يحرق، فعيبوا على الرسول ﷺ، وعيبوا على أبي بكرٍ، وعلى الصحابة ڤ، فإذا كنتم تَعِيبُونَ على مَن يحرق بالنار الكفار والظلمة وأهل الردَّه، فَعِيبُوا على النبيِّ ﷺ، واشهدوا على أنفسكم أنَّكم خرجتم من الإسلام، ولستم من أتباع هذا النبي، وصارحوا بهذا, لماذا دائمًا عندما يكون الأمر لكم، تنسبون هذه الأفعال للناس أو للعلماء أو للدعاة؟ ولماذا لا تنسبونها إلى الله ورسوله؟ فهؤلاء العلماء والدعاة لم يتكلموا من عند أنفسهم، بل نقلوا كلام الله †، وكلام رسوله ﷺ.

هذا في مناطٍ، أما النبي ﷺ الذي قال هذا، فقد نَصَب المنجنيق على ثقيف، وضرب المنجنيق، وهذا لا يتخيَّرمن تقع عليه (الأطفال، والنساء، والرجال)، كلُّهم لا يتخيَّر، ومع ذلك فَعَله النبي ﷺ في ثقيفٍ، ومن الممكن أن يقع على المسلمين؛ لذلك لمَّا نزل نُفيع ڤ (أبو بكرة) ببكرةٍ من حصن - وسُمِّي من يومها أبي بكرة - لم يُشنِّع أبدًا على هؤلاء الناس، ولم يُذكَر أنه ضربها، فيجوز للضرورة النساء والأطفال، ولا يجوز التحريق، أمَّا قَتْل النَّبيِّ ﷺ للمرأة التي كانت تعمل عينًا وقتلها النبي ﷺ، فهذا للضرورة.لا قصداً ،فلا يجوز تقصد النساء والأطفال والعجزة وكل من لم يقاتل وليس من أهل الحرب لا يجوز تقصدهم بالقتل ولكن يجوز للضرورة ومصلحة المسلمين والمقاتلة فمن قاتلت أو ساعدت على القتال فهى تقتل لرأيها وقتالها وكذلك يجوز من باب المثل كما سيأتى

جارية بن قدامة كان في الحرب التي حصلت في سنة 37 بين معاوية ڤ، أو بين معسكر الشام وبين معسكر الكُوفة والبصرة، وحضر جارية بن قدامة على ابن الحضرمي، فاعتصم في الدار، فحرَّقه عليه ومعه سبعون من أقرانه وأصحابه، مع شهود بعض الصحابة والتابعين، ولم يُنكِرْ أحدٌ.

(عن التحريم)، يعني: النهي هنا ليس على التحريق، ولا كيف يفعل النبيُّ ﷺ مُحرمًا؟ وكيف يفعل أبو بكرٍ مُحرمًا؟ ويجوز في مواضع، وفي غيرها لا يجوز.

هذا من باب المثل، يقتلون نساءنا، ونقتل نساءهم، ويُهدمون بيوتنا، ونهدم بيوتهم، هكذا بالمثل، وجاء هذا المثل في القرآن الكريم: ﴿ک گ گ گ گ گ﴾ [البقرة:194]، وهذا أصلٌ، فلماذا تُنْكرون على المسلمين، ولا تنكرون على الكفار المعتدين؟!!

والتحريق بالنار جائزٌ للضرورة، وقد فَعَله رسول الله ﷺ، وفَعَله خليفة رسول الله ﷺ، وفَعَله علي بن أبي طالب ڤ.

ويكفي لجواز التَّحريق بالنار فِعْلُ رسول الله ﷺ وحده؛ لأنه المشرع بوحيه ﷺ، فما بالك إذا فَعَله مَن بعده من الخلفاء الراشدين: أبي بكر الصديق وعلي ڤ.

وثبت في «صحيح البخاري» أنَّ عَلِيًّا ڤ حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقالَ: لو كُنْتُ أنا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: **«لا تُعَذِّبُوا بعَذَابِ اللَّهِ»**، ولَقَتَلْتُهُمْ، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: **«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلُوهُ»**.

وثبت في «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ، كتاب الفتن من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث ڤ قالَ: **«لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ»**، فَلَمَّا كانَ يَوْمُ حُرِّقَ ابنُ الحَضْرَمِيِّ، حِينَ حَرَّقَهُ جارِيَةُ بنُ قُدامَةَ، قالَ: أشْرِفُوا على أبِي بَكْرَةَ، فَقالوا: هذا أبو بَكْرَةَ يَراكَ قالَ عبدُ الرَّحْمَنِ: فَحَدَّثَتْنِي أُمِّي عن أبِي بَكْرَةَ أنَّه قَالَ: لو دَخَلُوا عَلَيَّ ما بَهَشْتُ بقَصَبَةٍ.

يعني: كان ڤ يعتزل الفتنة، وكان يقول: أنا لا أقاتل مسلمًا، فهذا أخذ على نفسه هذا العهد (ولو دخلوا عليَّ...) يعني: هم رأوه وهو ينظر إليهم فقالوا: ها هو ينظر إليكم أبو بكرة، ربما يشهد عليكم، فلما دخلوا عليه قال: والله، لو ضربوني، ما رفعتُ عليهم يدًا. قال: لأني عاهدتُ ألَّا أقاتل مُسلمًا، ولا أقاتل إلا كافرًا؛ لذلك في زماننا هذا يدَّعون أنَّ أهل التوحيد والجهاد والسنة وغير ذلك لا يجوز لهم أن يُوجِّهوا أسلحتهم لإخوانهم المسلمين، بل يوجهونها لأهل الكفر والإلحاد، أمَّا أهل الإسلام فلا، وهذا نُفَيع بن الحارث ڤ قال: عاهدتُ ألَّا أقاتل مُسلمًا، ومع ذلك تركوه، وهذا هو الشاهد، وهو أنَّ المسلم دائمًا يكون في

فسحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا.

يعني: إذا كان حُكْم الصحابة في الفجاءة السلمي القتل والتحريق بالنار حيًّا؛ لأنه استحلَّ قتل المسلمين وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤدي الزكاة، ويصوم رمضان، ويقرأ القرآن، ومع كل ذلك لمَّا صدر منه هذا الفعل الذي لا يُقَاس ولا يساوي عشر ما عليه البوادي! ومع ما عليه الرجل من إسلامٍ، إلا أن الصحابة حكموا بكفره وحرقه وقتله حيًّا، وهذا يدلُّك على أن لا إله إلا الله لا تنفع قائلها مع الوقوع فيما يناقضها.

ونقل بن حجر في «الفتح» عن المهلب قوله: «ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع، ويدلُّ على جواز التحريق فِعل الصحابة، وقد سمل النبي ﷺ أعين العُرنيِّين بالحديد المحمي، وقد حرَّق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناسًا من أهل الرِّدة، وأكثر علماء المدينة يُجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها، قاله النووي والأوزاعي».

❀ ❀ ❀

إذا ثبت التحريق، فلا تعليق:

إذا ثبت التحريق لمَنْ يستحقُّ الحرق عن النبي ﷺ، وعن خليفته الراشد أبي بكر، ولأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، وعن سيف الله خالد، وعن جمعٍ من الصحابة، فلا تعليق، كلٌّ في مناطه، فبما بالك إنْ كان من باب المثل كما يفعل الكفار بالمسلمين يفعل بهم المسلمون؛ لأنه استحلَّ دماء وأموال المسلمين، وهي حرام، فكفر وارتدَّ للاستحلال والقتال.

❀ ❀ ❀

فإذا كان هذا حُكْم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة، فما ظنُّك بمَنْ لم يقرَّ من الإسلام بكلمة واحدة إلا أنه يقول: «لا إله إلا الله» بلسانه، مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ، ومن كتاب الله؟

ويقولون: هذا دين الحضر، وديننا دين آبائنا. وحرَّم الإسلام مالهم ودمهم مع إقرارهم أنَّهم تركوا به الإسلام كله، ومع علمهم بإنكارهم البعث، واستهزائهم بمَن أقرَّ به، واستهزائهم بشرائعها، وتفضيل دين آبائهم، مخالفًا لدين النَّبيِّ ﷺ، والشيخ $ يردُّ ويستعجب من قول علماء الدعاة المشركين الذين دخلت شبهات المرجئة عليهم، فيقرُّون أنَّ البدو ليس معهم إسلام صحيح، ولا يأتون من أعمال الإسلام إلا بالتلفُّظ بالشهادتين، فهم بقول: (لا إله إلا الله) مسلمون، يحرم دمهم ومالهم، مع إقرار هؤلاء العلماء أنَّ البوادي تركوا الإسلام كلَّه, وكفروا بترك العمل الظاهر من أركان الإسلام (الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج)، وكفروا بالاعتقاد المكفر بإمكانهم البعث، وأن مَنْ مات، لا يُبْعث بعد موته.

ثم يُفْتي هؤلاء المَرَدة الجهال أن هؤلاء مسلمون، ولو صرَّحوا بذلك كله إذا قالوا: لا إله إلا الله، سبحانك هذا بهتان عظيم!

والشيخ المؤلِّف $ يُبيِّن أن هناك علماء السوء من المرجئة والقبورية، وهم شياطين، يقولون: نعم، كل هذا شركٌ وكفرٌ نعلمه ونقرُّ أنه كفر وشرك أكبر، لكن من يفعله يقول: (لا إله إلا الله)، فماذا نفعل بـ (لا إله إلا الله) وهي ماحيةٌ

للكفر والشرك؟ فمَن قال: (لا إله إلا الله)، ووقع في الكفر والشرك، لا يكفر؛ لأن (لا إله إلا الله) تعصمه من الكفر والشرك مهما كان هذا الشرك، فهو مسلمٌ.

الشيخ هنا يُسمِّيهم المردة الجهال الشياطين، يُسمِّيهم هكذا، وهذا في زمانه منذ أكثر من 300 سنة.

فَسَاقَ لهم المؤلف $ قصة المرتدِّين زمن أبي بكر الصِّدِّيق والصحابة ﭫ ليردَّ عليهم، ويُبيِّن لهم أن (لا إله إلا الله) لا تنفع مع الشرك والكفر الأكبر، وأنَّ الصحابة كفَّروا المرتدين وهم يقولون: (لا إله إلا الله) ويصلون، ويقرأون القرآن، ويصومون، ولم تنفعهم كلُّ هذه الطاعات؛ لأنهم ارتدوا بمنعهم الزكاة، وقتالهم وقتالهم عليها، فقاتلهم الصحابة كلهم وهم يقولون: (لا إله إلا الله)، وأعظمُ من ذلك وأكبرُ تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة، ويقولون: (لا إله إلا الله).

❁ ❁ ❁

وما أحسن ما قاله واحدٌ من البوادي لمَّا قدم علينا، وسمع شيئًا من الإسلام، قال: أشهد أنَّنا كفار – يعني: هو وجميع البوادي - وأشهد أن المطوع الذي يسمِّينا إسلامًا (يعني: مسلمين) أنه كافر.

يعني: لمَّا قدم على الشيخ محمد رجلٌ من سكان البوادي، وسمع من الشيخ شرح الإسلام، ومعنى التوحيد قال: لم نكن على الإسلام هذا، بل كنَّا على الكفر والشرك، والشيخ والمطوع الذي كان يقول علينا: إنَّنا مسلمون مع ما نحن عليه من كفرٍ وشركٍ، وارتكاب نواقض الإسلام، هو كافرٌ؛ لأنه لا يعرف التوحيد، ولا حقيقة الإسلام، ولو كان على الإسلام أو التوحيد، لحذَّرنا من الشرك والكفر الذي كنا فيه، ولكنه كان جاهلًا بالتوحيد، فلم يعرف الإسلام.

وعنوان هذا المقطع الأخير: (لا يُجْدي ولا ينفع مع الشرك طاعة).

يعني لمَّا جاء هذا البدويُّ، وسمع منه الإسلام وشرح الإسلام وغير ذلك قال: نحن كنَّا كفارًا، ولم نكن على دينٍ، ثم قال: والمطوع الذي كان فينا (يعني: الشيخ والداعية الذي كان فينا) هو كافرٌ كذلك؛ لأنه لا يعرف الإسلام، وكان يُقرُّنا على الشرك الذي نحن عليه.

❀ ❀ ❀

تمَّ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

هذا آخر ما يسَّره الله لنا ووفَّقنا وسددنا في التعليق على هذه الرسالة اللطيفة النافعة الجامعة لما يجب عليه أن يكون المسلم من تحقيق التوحيد، والعمل به، والدعوة إليه, واجتناب الكفر والشرك والمشركين، والتحذير منه، ودعوة الناس إلى الدين الخالص؛ دين الأنبياء والرسل.

ولا يملُّ الداعية من الدعوة إلى التوحيد والسُّنة حتى يلقى الله بذلك.

أسأل الله † أن يكتب لنا ولكم الأجر، ولا يحرمنا من الأجر، ويستعملنا في طاعته، وأسأل الله † أن يُثبِّتنا وإياكم على الحق حتى نلقاه ثابتين على التوحيد والسنة،

أسأل الله أن يتقبَّل منا هذا العمل، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، دعوةً لتوحيده، وربطًا لقلوب الخَلق به, ونسأله سبحانه أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة،

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

صابر الدرينى